المستشرقون وإشكالية

(قرآن الشيعة) أو (قرآن فاطمة عليها السلام)

(من منتصف القرن ١٩ إلى العقد الأول من العشرين)

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الجبار ناجي
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

المستشرقون وإشكالية (قرآن الشيعة) أو (قرآن فاطمة عليها السلام)
(من منتصف القرن ١٩ إلى العقد الأول من العشرين)

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الجبار ناجي
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

المبحث الأول
فاطمة الزهراء في كتابات المستشرقين

حظي موضوع سيرة السيدة العظيمة فاطمة الزهراء عليها السلام باهتمام ملحوظ من قبل المستشرقين كما هو الحال باهتماهم بسيّر الأئمة الأطهار الذين أشرنا إليهم في هذا الفصل. فإن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام قد استحوذت على دراسات المستشرقين؛ فإنها تمثل الحلقة الثالثة في الخط الإمامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام. وفاطمة الزهراء هي الأخرى قد ظلمها بعض المستشرقين من الجيل الأول أمثال كايتاني Caetani في مقدمة (حوليات الإسلام)، والمبشر الذي مثل الخط المعادي لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هنري لامانس. في العقد الأول من القرن العشرين. فقد ألف لامانس كتابا عن فاطمة الزهراء في سنة ١٩١٢ بعنوان (فاطمة وبنات محمد)[1]، كذلك تعرض لها في كتابه الذي مجّد فيه معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد؛ وكان في كتابه الأول قد حاقداً بل ماكرا في تقليله من أهمية فاطمة الزهراء وفي علاقتها بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو دائما يأخذ بعض الروايات الضعيفة سندا وفحوى فيحمّلها أكثر من طاقتها، كما فعل تماما مع نصّ رواية لمؤلف متأخر جدا هو الهيثمي ليطبقها على الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

وقد انتقدت المستشرقة الإيطالية فاجيليري رؤيته وموقفه من الزهراء

بوصفها قوله بأنه (ينم عن malice (حقد أو خبث أو مكر). كذلك تقف من رؤية كايتاني موقفاً متطابقاً تقريبا لتفسير ورؤية لامانس. في الوقت نفسه فقد وقف المستشرق الألماني C.H.Becker بيكر خلال دراسته سيرة سيد المرسلين[٢] محمد وعائلته المنشورة عام ١٩١٣، في مجلة دراسات إسلامية. كذلك الحال بالنسبة إلى دراسة سبرنجر A.Sprenger عن حياة محمد وتعاليمه[٣]. والملاحظ ان هذا المستشرق الألماني قد ألف كتابا عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعنوان (حياة محمد). ولكن المستشرق الفرنسي ماسنيون Massignon يعدّ من أكثر المستشرقين اهتماما بالزهراء ومن أكثرهم إيجابية ازائها عليها السلام. فقد ألف اسهامات عدة حول فاطمة الزهراء عليها السلام، وفي أحدها وضع على سبيل الموازنة فاطمة ومريم العذراء، واستشهاد الإمام الحسين وبين عذاب وآلام صلبCrucifixion السيد المسيح[٤]. وماسنيون على خلاف موقف لامانس قد وضع لها المقام السامي والرفيع Sublime ((طالما يذكر المقام العالي الذي تحتله مريم العذراء بينا المسيحيين Virgin Mary. إنها تمثل بداية الاسلام العالمي أو الشامل وذلك يرجع الى همّها وقلقها وعنايتها بالذين تحولوا إلى الإسلام من غير العرب. وهو يقدّم في بحوثه التي سنذكرها الآن تحليلا نفسيا وتفسيرا علميا لأصل ما يعرف باسطورة ابنة رسول الله وكونها جسرا سدّت فيه الفراغ الذي هو كائن بين الاسطورة والحقيقة))، وهذا أمر فشل فيه هنري لامانس لحقده وكرهه لآل البيت عليهم السلام إن يقوم به. نشر ماسنيون في عام ١٩٣٨ بحثا بعنوان (الغنوصية في الإسلام الشيعي) وقف فيه على الموازنة بين الزهراء ومريم العذراء عليها السلام، ونشر في عام ١٩٥٥ كتابا حول (المباهلة في المدينة وفاطمة)، وفي عام ١٩٥٦ نشر بحثا آخر بعنوان (مفهوم التقوى والعبادة عند فاطمة في الإسلام)[٥].

ومن بين الدراسات الأخرى دراسة المستشرقة الايطالية فيشيا فاجليري إذْ

كتبت بحثا مفصلا في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) غطّى الصفحات من (٨٤٢ – ٨٥٠)[٦]. وقد تناول بحثها العديد من المحاور فتحدثت عن فاطمة في التاريخ، وولادتها وطفولتها ورحلتها من مكة إلى المدينة، وخطبتها وزواجها، وبيتها بعد زواجها، وخلافها مع الإمام علي وتدخل رسول الله في الموقف، وأحداث تاريخية كان لفاطمة دور فيها من خلال حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة واحدة من أعضاء آل البيت، وفاطمة خلال مرض والدها، وفاطمة بعد وفاة والدها، ومطالبة فاطمة بفدك، ومرضها ووفاتها، وملامحها وصفاتها وأخلاقها، وأسطورة فاطمةLegend، وأمور تتعلق بخطبتها، وزواجها من الإمام علي، وجهاز عرسها، وحفلة زواجها والهدايا التي جاءت بها الملائكة من السماء، ومعجزات فاطمة، وفاطمة في الجنة، وموضوع علاقة النور بفاطمة، واسم فاطمة، وفاطمة في القرآن، وفاطمة في التعزية، والعزاء الحسيني، وفاطمة في العقيدة الإسماعيلية. إنها كما يرى المتتبع لوحة تاريخية مفصلة مأخوذة من مصادر مختلفة تعكس بما لا يقبل الشك والتردد الأهمية التاريخية لسيدة نساء العالمين عليها السلام.

لذلك فان بحث المستشرقة فاجيليري قد غطّى جميع فقرات سيرة سيدة نساء العالمين معتمدة على قائمة طويلة من المصادر الأساسية مثل ابن حزم والواقدي وابن سعد والبلاذري وابن حبيب وابن قتيبة وابن عبد ربه، كما اعتمدت في موضوع المباهلة على التفاسير ومؤلفات الإمامية وعلى مؤلفات العلامة المجلسي في بحار الأنوار (علما بأن المرويات الخاصة بالزهراء قد جمعت رسميا من قبل الصفويين ودوّنها العلامة المجلسي تضمنها الجزء العاشر من الباب الأول وحتى الباب السادس) ومن الملاحظات المهمة التي أكدت عليها المستشرقة فاجيليري ملاحظة تؤشر الى عدم ذكر المؤلفات التاريخية ومؤلفات السيّر كسيرة ابن هشام والمؤلفات الحديثة أية معلومات

مهمة تتعلق بفاطمة الزهراء وهو أمر يثير التساؤلات. كذلك الحال بالنسبة إلى المؤلفات المتأخرة كالاستيعاب لابن عبد البر وأسد الغابة لابن الأثير والإصابة لابن حجر والسيرة الحلبية فهذه جميعها تتجاهل الحديث عن فاطمة عمدا والله أعلم فيما عدا القليل جدا منها[٧].

ودرس متي موسى في كتابه المشار إليه آنفا (الشيعة المتطرفون، الغلاة) في فصل خاص بأن النبي صلى الله عليه وآله (حب الشيعة لفاطمة الزهراء) وإن الدولة الفاطمية في مصر إنَّما عبّر مؤسسوها عن تبجيلهم وحبهم في اتخاذ اسم دولتهم باسمها، ويقول المستشرق متي أن بعض الشيعة يشبهون فاطمة بمريم العذراء ويسمونها فاطمة العذراء، مشيرا إلى تفسير النبي صلى الله عليه وآله لمعنى الباكرة والعذراء. واستند المستشرق على الشيخ العلامة ابن بابويه في كتابه علل الشريعة[٨]. والواقع حسبما أشارت إليه المستشرقة فاجيليري أن المستشرق ماسنيون قد شدد على الموازنة بين فاطمة الزهراء ومريم العذراء عليها السلام.

وهناك دراسة أسهم فيها المستشرق تود لوسونTodd Lawson في كتاب (من أكثر علماء الشيعة علمية: مؤسسة مرجع التقليد) الذي حققته المستشرقة لندا وولبردج Linda S.Wallbridgeونشر في مطبعة جامعة اكسفورد عام ٢٠٠١[٩] بعنوان (الولاية أو السلطة الدينية لفاطمة في كتاب قديم كتبه الباب)[١٠] والواقع ان هذا البحث يتعلق بفاطمة البهائية إذ يقارن المؤلف هذه السيدة بفاطمة الزهراء. واستثمرت محققة الكتاب الموضوع فتحدثت المستشرقة لندا عن فاطمة الزهراء عليها السلام من صفحة ١٠٢ - ١٠٤ بعنوان (فاطمة التاريخ) وتعرضت فيه إلى موقف لامانس المبغض والسلبي ثم اعتمدت على ردّ فيشا فاجيليري في بحثها (فاطمة) عليه وأشارت إلى بحث لويس ماسنيون (ظاهرة العبادة والتقوى عند فاطمة)[١١].

وأخيراً قامت المستشرقة الكندية لندا كلارك بالاشتراك مع البروفسور

محمود أيوب بترجمة ما له علاقة بفاطمة الزهراء في كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى للعلامة الطبرسي بعنوان (إشعاعات النور : محمد النبي وفاطمة المشّعة)[١٢] وطبع في تورنتو عام ١٩٨٦.

المبحث الثاني

المستشرقون وقرآن فاطمة

مدخل لابدّ منه:-

في إحدى الحلقات النقاشية التي دأب العلّامة السيد كمال الحيدري على عقدها في شهر آذار من هذه السنة أي ٢٠١١،فتح السيد الحيدري باب المناقشة بعد عرضه الموضوع وكان بشأن وحدانية الله عزّ وجّل،والله ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار. فكان من بين المداخلات مداخلة لأستاذ في أحدى الجامعات السعودية، وقد وجّه أسئلة عدّة تؤشر الى وعيه وهي جديرة بالمناقشة؛ وقد ردّ السيد الحيدري ردّا مباشرا ومستشهدا بآية قرآنية كريمة. المثير للدهشة إن الأستاذ السائل تداخل مع حديث المحاضر الحيدري مدخلا كلمات تتضمن أهمية بالغة بالنسبة الى موضوع البحث المتواضع هذا، إذ عقّب على ما كان السيد الحيدري يدلي به من حجج جدلية تعقيبا خاطفا بما معناه هذه الآية التي قد تلوتها توّا هي من أي قرآن؟ ويبدو إن السيد الحيدري لم يكن مدركا عمق هذا التعقيب الخاطف الذي تداخل به الأستاذ السعودي، فلم يقف عليه ومن المحتمل لم يأبه به. غير أنني أدركت في حينها الهدف الحقيقي الكامن وراء هذا التعقيب؛ فالأستاذ - وهو في هذا القرن الواحد والعشرين، وفي سنة٢٠١١ التي لم يمض عليها سوى بضعة شهور - كان يقصد في اعتقادي الآتي:- من أين أتت هذه الآية، هل هي في قرآنكم أيها الشيعة أو بما يسميه مناصروه، قرآن الشيعة؟ بمعنى إنه انطلق من اللاوعي

مباشرة لتوكيد وتوثيق بأن هناك قرآنا غير القرآن المتداول عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، من دون أن يتمعن بدقّة ما استشهد به السيد الحيدري من آية في سورة الفاتحة نقرأها دوما ويقرأ بها المحاضر وبالتأكيد يقرأ بها الأستاذ السائل ويقرأها جميع من يعتقد بالعقيدة الإسلامية وغير الإسلامية في الوعي أو في اللاوعي.

والمثير للدهشة والاستغراب إن الأخوة الوهابية في السعودية أو في غيرها من البلدان قد استثمروا هذا اللاوعي فراحوا يطلقون الأقوال والتخرّصات التي هي أشدّ قسوة من تخرّصات المستشرقين؛ وبالأخص تلك المعروضة على شبكة الأنترنيت في موقع خصّصوه لهذا الغرض وأطلقوا عليه (قرآن الشيعة) أو (قرآن فاطمة). وقد أقتبسنا الأقوال الآتية لما ستكشفه للقارئ المدى الذي يضمره هؤلاء الذين يدّعون الإسلام من الحقد والكراهية والانغلاق الحضاري، تلك التي تربّوا عليها،فضلا عن كونها ستكشف عن مدى ضحالة أفكارهم المسمومة ومنها الآتي :-

- ♦ تحريف القرآن عند الشيعة ما نقص وما زاد وما تغير يا مسيحيو الشرق (وهو مرفق برسم كاريكتوري وفيه مخطط للشيطان وهو يسلم نسخة من القرآن الكريم الى شخص أخاله من السعودية).
- ♦ قرآن علي ومصحف فاطمة هما عند الشيعة التوراة والتلمود.
- ♦ سور من قرآن الرافضة الشيعة الإمامية،المنتظر؟؟؟
- ♦ المعمم الشيعي عبد الحميد المهاجر يقول إن المهدي سيظهر ومعه قرآن جديد.
- ♦ مقطع صوتي يثبت بأن الشيعة لا يؤمنون بالقرآن الذي بين أيدي المسلمين.

- العثور على قرآن الشيعة يا وهابية....الله وأكبر.
- ما هو قرآن فاطمة الشيعي ووين نلاقيه؟
- اضحك مع قرآن الشيعة المزعوم(سورة الولاية).
- ما هو الردّ على النصارى الذين يقولون إن قرآننا محّرف؟؟
- كبار علماء الرافضة الإمامية يقولون بتحريف القرآن.
- قرآن فاطمة والإمام المهدي وتحريف القرآن.
- القرآن الخصوصي للشيعة؟ إذا كنت رجّال يا رافضي سمعّنا صوتك؟
- لائحة بأسماء علماء الشيعة الذين أقّروا بتحريف القرآن.
- السور المفتراة في قرآن الرافضة المزعوم.
- آيات وسور من قرآن الشيعة،
- تعالوا يا سنة نجمع قرآن الشيعة.(الشبكة بعنوان الدفاع عن السنة).
- يا شيعة لماذا لا يدرس القرآن في الحوزات؟؟
- هذا قرآن الشيعة يا دعاة التقريب.
- سورة الولاية في قرآن الشيعة المجوس.
- رجم الشيخ والشيخة في قرآن الشيعة.
- هذا قرآن الشيعة،ماذا بقي يا شيعة من دينكم؟؟
- الوهابية يطبعون قرآن الشيعة والمسلمون بأجمعهم يقرأونه.
- قرآن الشيعة يتحداكم أيها المسلمون.
- الشيعة وجريمة القول بتحريف القرآن.

♦ قرآن الشيعة المحّرف.

وغيرها من الصرخات المهوّسة والترهات الصبيانية التي تضمنها هذا الموقع الأنترنيتي الوهابي،فضلا عن أن هناك المزيد في المواقع المعنية بالوهابية. وجميعها إنّما تعبّر عن اللاشعور الحاقد والمضاد لمذهب أهل بيت النبي (بيت النبوة الطاهر) لا غير.فضلا عن كونه معبّرا ومعلنا عن مدى جهلهم بالإسلام دينا وتاريخا وحضارة، ويدل على ضحالة أفكارهم لاعتقادهم بذلك؛ على الرغم من أن علماء من إخواننا أهل السنة وغيرهم من الأزهر قد أعلنوا بأن هذه مجرد فرية.إذ ليس هناك من قرآن خاص للشيعة أو ما يسمونه بقرآن علي أو قرآن فاطمة أو قرآن الشيعة. وإن بعض العلماء من أهل السنة قد صرّحوا بأنهم أدّوا الصلاة خلف إمام شيعي ولم يقرأ في صلاته إلّا آيات من القرآن الذي يقرأ به المسلمون في العالم الإسلامي. لذلك فإنها خرافة تلك التي ينادي بها ويؤمن بها أمثال هؤلاء الحاقدين والجهلة. فإن كانت لديهم أي عقيدة أو واقعية فليستمعوا الى ما يرتّل من الذكر الحكيم وبأصوات شجية في القنوات الشيعية، فليحاولوا ويستمعوا ولو لمرّة واحدة، علما بأنهم صمّ بكمّ لا يفقهون شيئا ولا يريدون الاستماع الى كلمات الله تعالى التي ترتل وتقرأ من قبل القرّاء الشيعة ومن قبل العلماء الشيعة أيضا. فلو كانوا على هدى من أمرهم لتابعوا ما يحدث في كلّ عام من شهر رمضان المبارك عند المسلمين جميعاً في مدن النجف الأشرف ومدن جمهورية إيران الإسلامية في قم ومشهد المقدستين من برامج للمسابقات القرآنية وطيلة أيامه الفضيلة؛ وهي مسابقات يسهم فيها شيوخ القراءة القرآنية في العالم الإسلامي عربا وغير عرب من دون الإقتصار على العراقيين أو الإيرانيين فحسب. فليحاول أمثال هؤلاء الذين يفاخرون ويفتخرون بوهابيتهم؛ ولا ضير عليهم ولا خوف عليهم من أحد إذا ما أرادوا زيارة العراق أو إيران - طبعا من غير تفخيخ أنفسهم

لقتل الأبرياء السنة والشيعة على حدّ سواء - ليفتشوا الجوامع والحسينيات والمراقد المقدّسة بحثاً وراء نسخة واحدة ممّا يزعمون، وليقرأوا في القرآن هذه الأماكن المقّدسة، في النسخ الكثيرة جدّا من القرآن الكريم الذي يقرأه الشيعة يوميا بخضوع تام لأنه كتاب الله العلي القدير، الذي منحنا العقل والحكمة والموعظة الحسنة التي يتعامل بها الناس. وليعرضوا هذه النسخ من القرآن الذي يقرأ به الشيعة على مشايخهم أو بالفعل ليتخذونه مصدرا لتراهاتهم على إنه قرآن الشيعة الخاص بالشيعة الإمامية كالذي يرددونه في شعاراتهم الجاهلة والعاطفية والحاقدة. كذلك على مشايخهم أو مثقفيهم أن يتساءلوا مع أنفسهم عندما يقتنعون بعون من الله تعالى بإن الشيعة واقعا يقرأون بنفس قرآنهم. وهناك نقطة جديرة بأن نعقّب عليها وهي خشيتي من أن يكون هؤلاء الجهلة قد بنوا فكرتهم بشأن قرآن الشيعة إذ يرون الشيعة يقرأون دائما عقب كلّ صلاة من الصلوات المسة يميا في كتاب منهاج الصالحين أو ضياء الصالحين فتصوروا بذلك إنه قرآن الشيعة؟. فيا أخي الوهابي إن الشيعة لا يكتفون بذكر الصلاة دون أن يقرأوا أدعية وهذه الأدعية مؤلفة من أدعية بذكر المناسبات الدينية الصرفة أو أدعية تقرأ بعد كلّ صلاة. ولو قرأت أول كلمة في كتاب ضياء الصالحين مثلا المؤلف من ٦١٠ صفحة متوسطة الحجم فستقرأ ما يأتي((سورة الأعلى بسم الله الرحمن الرحيم. سبّح أسم ربك الأعلى.الذي خلق فسوّى....الخ السورة)). وستجد في آخر صفحة مكتوبة قبل الفهرست ما يأتي (يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين). هذا أنموذج استندنا إليه لتبديد الخرافات المعشعشة في أدمغة لا تريد الحكمة والموعظة الحسنة.

ولكن مع ذلك هنالك من يتساءل، إن كان حصيفا ومتتّبعا، عن المصدر الحقيقي للمعلومة تلك التي ذكرت بشأن مسألة قرآن الشيعة؟؟

والمهم حقّا إن هذا الموضوع قد بدأ التصريح به والإعلان عنه من المستشرقين المبّشرين عامة ومن قبل أولئك الذين كانوا يخدمون البعثات التبشيرية في المدن الهندية التي كان سكانها من الشيعة نظير مدراس ولاهور ولكناو وغيرها. وقد ابتدأ البحث التبشيري وهو مدعوم ببحوث نفر ممّن خرجوا عن الخط الشيعي الإمامي، اقصد من البهائية أو ممّن بقي على ديانته الزردشتية؛ بما سنفصّل به في هذا البحث المتواضع.

في بحث سابق للباحث نشر في هذه المجلة العلمية الرصينة (المصباح) بشأن دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوربية المختلفة؛ خلصنا الى نتائج دقيقة تركّز على الدافع الأساسي أو مجموعة الدوافع الضاغطة التي حدت بالمستشرقين في أوربا وأمريكا الى دراسة كتاب الله عزّ وجلّ، والى بذل الجهود المضنية لترجمته الى لغاتهم. فكان من بين أهم هذه النتائج ما له علاقة مباشرة بالعمل التبشيري لاسيما منذ مطلع القرن التاسع عشر بالنسبة الى العمل التبشيري الأمريكي،والى أبعد من ذلك بكثير - منذ الحروب الصليبية - بالنسبة الى البلدان الأوربية. ذلك الباعث الذي أثّر تأثيرا بالغ المدى على العقلية الأوربية (الغربية) في العصور الوسطى وإبّان عصر النهضة الأوربية وبالأخص في واقع فهمهم للدين الإسلامي ولآيات الذكر الحكيم.يضاف الى ذلك الباعث الآخر وبما شهدته النهضة الإصلاحية الدينية في أوربا الوسطى نظير حركة مارتن لوثر، فضلا عن الحركة الإصلاحية الكنسية التي توجّهت بشكل مركّز على مسألة تشخيص المفاهيم الدينية الخاطئة بله المنحرفة للدين المسيحي تلك التي كان رجال الكنيسة يمارسونها وفي تحديدهم المبالغ به كثيرا لنسخ الإنجيل بغية عرقلة توسيع انتشاره أو قراءته من الشرائح الوسطى والفقيرة من المسيحيين. ولهذا فالمعتقد إن لوثر قد سعى الى قراءة القرآن الكريم بلغة أجنبية لعلها اللغة اللاتينية للتعرف عن كثب على التعاليم الدينية

السمحة وإمكانية الإنتفاع منها ومن غيرها من الأفكار المبثوثة في القرآن بهدف تعزيز نظريته الإصلاحية. وإنه لا وجود للخرافات والخزعبلات الكنسية التي أحكم رجال الكنيسة تثبيتها في عقول الناس والبسطاء منهم على وجه التحديد. وأمثال تلك الخرافات والتحريفات التي ظلّت عالقة في معتقد عدد غير قليل من المستشرقين بإن كتاب الله العزيز هو من وحي النبي محمد صلى الله عليه وآله نفسه، وهو الذي (حاشاه الله تعالى) اخترعه وكتبه. ومثل ادّعاءاتهم وجود أساليب لغوية متنوعة في نسيجه اللغوي؛ ورأى البعض الآخر منهم لاسيما الرأي المتعصب منهم وجود تأثير توراتي وإنجيلي في القرآن المجيد، أو كما ذهب آخرون الى أن هناك ثغرات ونواقص في آيات كريمة مكيّة أو مدنية. وغالى آخرون، نظير ديفيد N.A.Dawood الإنجليزي في ترجمته الموسومة The Koran، translation with notes) الذي أقدم على طرح فرضية بشأن ترتيب الآيات القرآنية ترتيبا جديدا على وفق مزاعمه معتمدا النغمات الشعرية؛ فكانت نتيجة عمله أجراء تقديم وتأخير في ترتيب الآيات والى تدخل من قبل المستشرق في تحوير وتحريف لمعاني القرآن الكريم(١٣). وكذلك يعدّ عمله خرقا غير مألوف في كتاب مقدس إلهي وردت آياته على هذا النسق وتمّ اتفاق نخبة من الصحابة رضوان الله عليهم على تكليف لجنة رسمية لجمعه، وهو قرآن متفق عليه عند المسلمين كافة منذ العصر الراشدي على وفق هذا الترتيب لآياته وسوره الكريمة وليس من حق أحد أن يبدي رأيا أو يقطع أمرا مخالفا لما هو منصوص عليه في النظام الإلهي الذي كان يوحى الى النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام. ولم يقتصر الأمر على المستشرق داوود في محاولته التشويش على النص القرآني والتشويه في نسيجه الداخلي الإلهي؛ إنّما هناك مستشرقون غيره ممّن أخضع كتاب الله تعالى للدراسة والتحليل والاستنتاج بشأن مسائل مهمة أخرى كالذي قام به المستشرق بلاشير R.Blachere في كتابه المطبوع في باريس سنة ١٩٤٧ تحت

عنوان (المقدمة والقرآن Introduction andCoran) وما أبداه المستشرق البريطاني جيفري A.Jeffery في كتابه الموسوم (معلومات ومواد حول تاريخ النص القرآني Materials for the history of the text of the Quran)، المطبوع في ليدن سنة ١٩٣٧. والآراء التي عرضها المستشرق فلج A.T.Welch في بحثه الموسوم (al-Kuran) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية، وفي ترجمته وتعقيبه لكتاب جاتجيه H.Gatje باللغة الألمانية الموسوم (القرآن وتفسيراته Koran und Koran exegesis:The Quran and its exegesis) المطبوع في (لندن-بيركلي١٩٧٦)[١٤].

ترجع بداية الكتابة عن موضوع "قرآن الشيعة" في دراسات المستشرقين الى حوالي منتصف القرن التاسع عشر؛ إذ نشر المستشرق الفرنسي المعروف دي تاسي Garcin de Tassy في المجلة الفرنسية المعنية بالدراسات الآسيوية Journal Asiatique في الجزء الثالث عشر لسنة١٨٤٢م؛ وعنوان بحثه (آيات غير معروفة في القرآن Chapitre inconnue du Coran)[١٥]. وركّز فيه على سورة سميت بسورة النورين التي ورد ذكرها في كتاب فارسي بعنوان (دبستاني مذاهب، بمعنى الملل والنحل) لمؤلف لم يتفق على هويته، ولكن الأكثر صحة قد ألّفه فارسي زرادشتي كيواني الطائفة اسمه كيخسرو بن آزر (أو آذر) كيفاني أو كيواني. وقد ورد في الدبستان باللغة الفارسية إن كيخسرو هذا كان من أتباع آذر كيوان وكان محترما من سائر الآذركيوانيين، وكان موبذا Mage[١٦]، وجاءت التسمية على شكل آخر هو أزهر أو آزر كيوان Azhar Kaiwan المتوفى سنة١٦٢٧م. ووصف بكونه الكاهن الأعلى للزردشتيين Priest.

قبل التطرق الى المساعي الحثيثة جدا التي نهد بها المستشرقون ولاسيما البريطانيون منهم بشأن كتاب دبستاني مذاهب،لابدّ من إثارة نقطة مهمة

ملفتة للنظر ألا وهي ذلك الاهتمام العجيب وذلك الصدى الواسع الذي حقّقه الكتاب منذ ظهوره في حوالي منتصف القرن السابع عشر للميلاد، سواء كان هذا الاهتمام متمثلاً في طبعه باللغة الفارسية لأكثر من طبعة أم في الترجمات المتنوعة الغربية والآسيوية أم في إخضاعه للتعقيبات والإضافات من قبل المترجمين، أم في تقديم المقدّمات وصنع مسارد للمصطلحات الدينية والحضارية الواردة في الكتاب. جميع تلك النشاطات قد تمّت بعد سنوات قليلة من ظهوره. وفي أدناه تحليل كرونولوجي للمراحل التي شهدها تطوّر انتشاره:-

١- على الرغم من وجود تباينات طفيفة بالنسبة الى زمن ظهور الكتاب،لكن ذلك لا يتجاوز القرن السابع عشر الميلادي، إذ اعتمادا على ما ذكره كلير تسدال St. Clair Tisdall في بحثه المنشور في المجلة التبشيرية (عالم الإسلام) Moslem World في سنة ١٩١٣م الموسوم (الإضافات الشيعية للقرآن)[١٧].إذ ذكر بأن الآيات الجديدة قد اكتشفت في مخطوطة للقرآن في مدينة بانكيبور Bankipur في الهند في شهر حزيران من١٩١٢م. وكانت موجودة في مكتبة قد أسّسها هندي مسلم ثريّ. وذكر أمين المكتبة إن هذه المخطوطة قد تمّ شراؤها في مدينة لكناو الهندية قبل عشرين سنة،بمعنى في سنة ١٨٩٢م من رجل من أسرة النوّاب؛ مع العلم بأن أمين المكتبة لم يذكر اسم ذلك الشخص النوابي. وممّا يذكر إن المخطوطة ربما ترجع على الأقل الى حوالي مائتين إلى ثلاثمائة سنة ماضية. وأضاف تسدال إلى وجود صورة لهذه المخطوطة في عدد المجلة هذه[١٨]. وحسب علم المستشرق تسدال فإن هذه المخطوطة فريدة ولا وجود لمثيلها سوية مع السور الأصلية للقرآن التي تحتوي على الإضافات والتعديلات. ونصّ سورة النورين في النسخة

التي بحوزة المستشرق تختلف في كثير من المواضع عن النسخة التي عند المستشرق الآخر كانون سيل Canon Sell الذي استعارها من بحث ميرزا كاظم بيك Mirza Kazem Beg الذي نشره في المجلة الآسيوية J.A. في ديسمبر سنة١٨٤٣م[١٩].

٢- وتفيد المعلومة بأن الأستاذ السيد حسن عسكري قد عثر على نسخة من المخطوطة في مدينة بتنه Patna وكانت مدينة المؤلف محمد محسن فاني أو ذي الفقار علي الحسيني الأردستاني وهو أحد الاحتمالات لاسم المؤلف الأصلي للدبستان. وعثر عليها في سنة ١٩٣٠ عند عائلة إيرانية مسلمة[٢٠] ويذكر مقدم الترجمة ميزة هذه النسخة بكونها تحتوي على ملاحظات نقدية على هامش المخطوطة. فضلاً عن تقديمها معلومات قيّمة بشأن المؤلف لم تكن متوافرة في حينها للمترجمين المعروفين في ترجمتهما النسخة الفارسية الى اللغة الإنجليزية وهما ديفيد شيّا David Schia وأنتوني ترويير Anthony Troyer في أول ترجمة للكتاب سنة١٨٤٣م من قبل الأستاذ شيّا أولا تحت عنوان (دبستاني مذاهب Dabistan-i Mazahib) وترجم الى الإنجليزية تحت عنوان(School of Religion) أو(School of Religious Doctrines) أو (School of Manners).

٣- وهناك من يرى إن المؤلف مير ذو الفقار المتخلص بمؤبد شاه قد فرغ من كتابه في ٢٣محرم سنة١٢٦٦هجرية،وكان يقع في٢٤٨ورقة برفقة معجم في ثمان ورقات[٢١].

٤- ويرى كلّ من البرفسور هوروفتز J.Horovitz وهنري ماسيه H.Masse في بحثهما المشترك في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) بأن المؤلف قد انتهى من تدوينه بين سنتي ١٠٦٤ - ١٠٦٧ هجرية/١٦٥٤ - ١٦٥٧م أو بين١٠٥٥ - ١٦٤٥/١٩٦٨ - ١٦٥٨[٢٢].

٥- مقابل ذلك التاريخ فهناك من رأى إن تاريخ ظهور الكتاب وحسب ما أوردته دائرة معارف ويكبيديا Wikipediaفي حوالي سنة١٦٥٥م[٢٣].

٦- واتفقت آراء كلّ من المستشرق غارسين دي تاسي Garcin de Tassy وكلير تسدال W.St.Clair Tisdall وعدد من المستشرقين الإسرائيلين نظير جوزيف أيلياش J.Eliash وإيتان كوهلبرغ E.Kohlberg ومائير بار آشرMeir Bar Asher حول تاريخ تأليفه في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر للميلاد[٢٤].

٧- وحسب ما قدّمه الأستاذ فتح الله مجتبى F.Mujtabai في دائرة المعارف الإيرانية Encyclopedia Iranica معتمدا على كتاب البرفسور ريوRieu، الموسوم (المخطوطات الفارسية Persian Manuscripts Volume I.Pp.141-143.). فإن الكتاب قد تمّ تأليفه بين سنتي١٦٤٥-١٦٥٨ [٢٥].

٨- المهم فقد ظهر الكتاب باللغة الفارسية في سنة١٨٠٩م في كلكتا وهي تعدّ أول طبعة للكتاب نهد بها شخص ربما كان هنديا يتقن الفارسية أو فارسيا اسمه مولوي نظير أشرف أو نزير(أو نزار) أشرف Nazir Ashraf أو Ushraf. فقد قام الأستاذ أشرف بطبعه في كلكتا،وزوّده بمعجم أو ما يسمى مسردGlossary للمصطلحات والتعبيرات الفارسية التاريخية والحضارية وفسّر فيه الألفاظ الغريبة المستعملة في العربية والهندية. والأكثر أهمية أنه نهد بهذا العمل بتشجيع وإشراف من البريطاني المعروف في عمله السياسي والإداري في شركة الهند البريطانية الشرقية وليم بتروورث بيليEsq. William Butterworth Baily الذي كان حسبما يبدو مسئولا في حكومة الهند البريطانية أولا ثم انتقل لتسنم منصب المدير العام لشركة الهند الشرقية البريطانية. وبيلي هذا قد

ساند نظير أشرف على كتابة خاتمة Epilgue للدبستان وتمّ طبعه في الأصل الفارسي في ذلك العام أي سنة١٨٠٩م[٢٦]. وحسب دراسة المترجمين الأستاذين شيّا وترويز فإنهما أدخلا هذه الخاتمة في ترجمتهما بعد الفصل المخصّص عن التصوف والمتصوفة في الدبستان بالعنوان الآتي(Moulavi Nazer Ushraf)، the editor of the Persian text of the Dabistan printed in Calcutta)[٢٧]. والواقع إن عمل نظير أشرف بما يقابل تحقيق النصّ الفارسي للكتاب؛ وقامت مؤسسة أنتيوك البريطانية بتحمل طبعهAntioch Gate. والملاحظ فإن الكتاب قدأعيد طبعه مرّات عدّة في الهند وبلاد فارس فطبع ثانية طبعة حجرية من قبل إبراهيم بن نور محمد في بومباي في سنة ١٨٧٥م. وفي سنة١٨٧٧م نشر الكتاب الأستاذ منشي نوال كشور Kishor بطبعة حجرية أخرى في كلكتا. وأعيد طبع الكتاب على الاستنساخ من قبل علي أصغر مستوفي في طهران سنة١٩٨٢[٢٨].

٩- أمّا ترجمته الى اللغة الإنجليزية فقد نهد بها الأستاذ فرنسيس غلادوين F.Gladwin بتشجيع من السير وليم جونزWilliam Jones الذي قرأ الكتاب عندما كان في الهند، وقرأه لأول مرّة في سنة١٧٨٧م باللغة الفرسية فاندهش كثيرا في ما تضمنّه من معلومات مهمة جدا وأبدى اهتماما بأمر الدبستان. فكتب رسالة شخصية في شهر حزيران سنة١٧٨٧م الى أحد زملائه في لندن وهو المحترم جي.شور J.Shore Esq. (الذي منح لقبا عاليا هو اللورد تاينماوث Lord Teignmouth مبينا تأثره بهذا الكتاب الفريد،قائلا " إن قسما كبيرا منه مثير للاهتمام جدا بالنسبة الى القارئ الذي يتمتع بحب الفضول". والواقع إن غلادوين الذي أطلق على مؤلف الدبستان الشيخ محمد محسن فاني -

وترجم فاني ترجمة لها صلة بتصوف محسن أي (Perishable) - فصلا واحدا من فصول الكتاب وهو الفصل الأول الذي يتناول الديانة البارسية (والمناسب طرحه هاهنا فالفصل باللغة الفارسية في الدبستان يسمى تعلم والجمع تعاليم) ونشرها في New Asiatic Miscellany الصادرة في كلكتا سنة١٧٨٩م[٢٩]. ويجدر التنويه اليه إن غلادوين أحد الأعضاء المتميزين في الجمعية التي أسّسها السير وليم جونز في الهند، وهي الجمعية الآسيوية، وترجمة هذا الفصل التي انتفع منها الأستاذ ديفيد شيّا، الذي يعدّ أول من أقدم على ترجمة كاملة للدبستان مذاهب الى اللغة الإنجليزية. لكن المنية قد عاجلته ولّما يتمّ الترجمة.فنهد لها البروفسور أنتوني ترويرAnthony Troyer فترجم ما تبقى من الكتاب وهو يقع في ثلاثة أجزاء. وقدّم له مقدّمة مستفيضة؛ وطبع أولا في باريس سنة١٨٤٣م[٣٠]. ثمّ أخذ البروفسور الأمريكي آبراهام فالنتين وليمز جاكسونA.V.Williams Jackson المتخصّص بالدراسات عن تاريخ إيران القديم وبصورة خاصة عن الديانة الزردشتية وعن زرادشت مؤسّسها؛ فنشر الكتاب جميعه في كتاب واحد مختصر وطبعه في نيويورك - لندن سنة ١٩٠١م[٣١]؛ وزوّده بمقدمة جديدة. ثمّ طبعت ترجمة للكتاب باللغة الكجراتية في بومباي سنة ١٨١٥ وبعدها في سنة١٨٤٥م. وأحدث نسخة باللغة الفارسية قد حقّقها الأستاذ رحيم رضا زاده ملك وطبعت في طهران سنة ١٩٨٣م[٣٢]، وهو في جزأين، اشتمل الجزء الأول على النصّ الكامل للدبستان، أمّا الثاني فقد احتوى على دراسة فضلا عن هوامش وحواشي Anntations وملاحظات توضيحية على الكتاب[٣٣].

إذن نلاحظ مدى الاهتمام الواسع الذي حصل عليه هذا الكتاب الذي

تباينت الآراء بشأن مؤلفه الحقيقي والهدف الرئيس الذي سعى من أجله تدوين كتاب عن الملل والنحل في المشرق الإسلامي. ولعل من المناسب الإشارة الى إن الكتاب يتألف من إثني عشر فصلا (يطلق المؤلف تعبير تعلم عن الفصل، وكل تعلم يتجزأ الى أقسام (ويطلق المؤلف على الجزء بمعنى Section تعبير نظر بالفارسية نزر). ويتناول في كل فصل تقريبا ديانة من الديانات الشرقية؛ ووزعها المترجمان شيّا وأنتوني ترورير في ثلاثة أجزاء استهل الجزء الأول منه الحديث بالتفصيل عن الديانة البارسية Parsians عقائد وطقوس السبيسيانيين Sepasians والبارسين Parsians والبيمانيين Paiman-i والفرهنك Farhang. وأعقبه جزءا مطولا أيضا عن زرادشت والزرادشتية. هذان الفصلان قد دفعا البرفسور فتح الله مجتبى الى الاستنتاج بكون المؤلف، مؤلف الدبستان، من أتباع الديانة البارسية. وواقعا فإنه كان في الأصل ينحدر من أسرة فارسية مسلمة لكنه ارتّد عن الإسلام الى الديانة المجوسية البارسية؛ ولهذا السبب يعزو البروفسور فتح الله مجتبى في بحثه المشار اليه آنفا سبب إخفاء اسمه الحقيقي من الدبستان[٣٤]. وهذا الاستنتاج ربما يقودنا الى الطعن في معلوماته التي دوّنها عن الإسلام في القسم السادس من الجزء الثالث من ترجمة المستشرقين شيّا وترورير الذي يحمل عنوان (حول الديانة المحمدية Of the Religion of the Mohammedans الذي توزّع في قسمين بعدد صفحات من ٣٢٢-٤٥١. تناول في القسم الأول ديانة السنة Sonnites ثمّ وقف على موضوع أطلق عليه (رواية أو قصة الملائكة) وآخر بعنوان (رواية بشأن الأموية واليزيدية والعلاقة مع العلي إلهية Ali-Ilahian). أمّا القسم الثاني فأعطاه عنوانا (حول ديانة الشيعة On the religion of the Shiahs)، وقد غطّى عددا من الصفحات من٣٦٢-٣٦٤، أعقبه وقفة على الفرق الإثنتي عشر للشيعة (كما نصّ عليه مؤلف الدبستان) من صفحة ٣٦٤-٣٧٢. وقد أدلى هذا المرتد بادعائه بالسورتين اللتين نسبهما الى الشيعة الإمامية وهما

سورة النورين وسورة الولايت. والأكثر أهمية في هذا الصدد، إن المؤلف اعتمد كليّا في حديثه المشّوه عن الشيعة على أحد الملالي في وأصله من كشغر، إذ يقول ما نصّه ((مؤلف هذا الكتاب يعزو كل ما علمه عن الشيعة الى ملاّ محمد معصوم ومن محمد مومن ومن ملاّ إبراهيم اللذين كانوا في سنة ١٠٥٣هجرية/١٦٤٣م في لاهور، ومن آخرين غيرهم. وبالنسبة الى الملاّ إبراهيم فإنه رجل كان مؤمناً ومتقيداً في دينه، وكان يمقت أو يبغض أتباع السنة والجماعة كثيراً had a great aversion. أمّا بخصوص مللا محمد معصوم من أتباع المذهب الحنفي في كشغر، وكان رجلا عالما وفاضلا، وكان تلميذاً لعالم من بادقهشان Badkahshan. وكان هذا العالم حذرا جدا من الشيعة، ولم يسمح لهم الدخول الى منزله. وقد سأله مؤلف الكتاب في لاهور عن سبب مقته وبغضه الذي كان يظهره دائما للشيعة؟. فأجاب قائلا إنه كان في الأصل شيعيا. وفي إحدى الليالي رأى في منامه إن الإمام حسن (أو حسين) ابن الإمام علي بن أبي طالب وسأله عن حقيقة دينه، وقال له أن يكون سنيّا وأن يبتعد عن incnstant،،وذلك لأنهم أهل بدع أو هراطقة ويعبدونني idolators. فالطريق الوحيد للحقيقة هو مذهب السنة والجماعة. وهنا فقد علمت من الشيخ حسن (أو حسين) وكذلك من ملاّ عادل Aadil، إن الشيعي ليس مسلماً. وحينما يسئل عن عقيدته، فهي عقيدة غير صحيحة، اعتماداً على حديث للنبي)) وهو في واقع الحال قد أشار الى السورة الأولى، ووقف الباحث في كتابه تحت الطبع على هذه السورة بالتفصيل؟؟. وتعرض في هذا القسم أيضا على موضوع ثالث وهو (حول ديانة الأخباريين) من صفحة ٣٦٤-٣٧٢. ثم تطرق الى موضوع (رواية عن الإسماعيلية) من صفحة ٣٧٢-٣٩٧ وموضوع (رواية عن العلي - إلهية) من صفحة ٣٩٧-٤٥١[٣٥]. وطبعا فإن أرقام الصفحات التي تؤشر إليها الترجمة المختصرة التي قام بها البروفسور وليمز جاكسون هي غير تلك الأرقام.

لقد وقف بعض المستشرقين على مسألة مهمة تتعلق بالموارد التي استند إليها مؤلف الدبستان سواء كان هذا المؤلف هو محمد محسن فاني الكشميري أم كيخسرو الكيواني كما سنلقي على هذا الموضوع الضوء لاحقا. فإلحاقا بما ذكر توّا بأنه استند في نقله بشأن الإسراء والمعراج الى كتاب منسوب لابن سينا الذي وصفه (The Lord Shaikh Abu Ali) وهو كتاب الإسراء والمعراج (The Ascent to Heaven)، ولم يعتمد النصوص الأصلية[٣٦]. كذلك أشار المؤلف نفسه الى المصدر الأساس للفصل الخاص بالسنة والشيعة وهو،والمستشرق جوزيف إلياش أكد أيضا إلى أنه أستند في ما أورده عن الشيعة الإمامية الى ما سمعه من الشيعة في لاهور؛ فضلا عن معلومات أخرى، كما يقول المؤلف بما عرفه وسمعه من الملاّ محمد معصوم sum،Ma ومحمد مومن Mumin والملاّ إبراهيم، وجميعهم كانوا في لاهور في سنة ١٠٥٣هجرية/١٦٤٣م، وكان محمد معصوم من أتباع المذهب الحنفي ويبغض التشيع ومن آخرين ونصّ قوله" ما سمعته من جماعة في سنة ١٠٥٣ هجرية في لاهور فأوردته" ومن ثمّ أردف قوله هذه بذكر السورة[٣٧]. فهو يزعم إذن:- إن بعض الشيعة يرون بأن عثمان رضي الله عنه قد أحرق نسخ القرآن، فضلا عن كونه استثنى أو أقصى Rejected عددا من سوره تلك التي كانت بحق منزلة الإمام علي عليه السلام وفضائله وفي سورة النورين هذه[٣٨]. والمؤلف عند تخصيصه بضعة صفحات للحديث عن الشيعة أعطى عنوانا هو (أقوال عن الفرقة الثانية من المسلمين - ويقصد بعد فرقة السنة -). وفي حالة واحدة صرّح المؤلف بأنه سمع ذلك من بعض الشيعة. وقد استهل الإشارة إلى سورة النورين المزعومة بقوله" بعضهم - أي الشيعة - يقول"[٣٩]، أو إنه قرأها في كتاب لإبن شهراشوب المازندراني الموسوم بالمثالب. علما بأن هذا الكتاب منسوب لإبن شهراشوب المتوفى سنة٥٨٨ هجرية، هو موجود الآن ويخلو من أية إشارة إلى ما ذهب إليه مؤلف الدبستان المرتّد عن الإسلام. والمناسب قوله إن ابن

شهراشوب يرى صراحة بصيانة القرآن من التحريف، وبالعكس فهو يذهب الى القول بأن القرآن الكريم قد جمع ودوّن في عصر النبي صلى الله عليه وآله، فكيف يتمكن الخليفة عثمان من أن يحذف شيئا منه؟ ونصّ كلامه " وزعمتم - وهنا يوجه خطابه الى اولئك المتشككين - جمع القرآن، وقال الله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٤٠] على إن لفظة القرآن تدلّ خطابه لأن القرآن المجموع من الأمثال والحكم والوعد والوعيد وأمثالها...ورويتم أنه لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء فكيف يجمع من لم يحفظه؟ أو يحفظ غير المجموع؟ وقد ثبت أن النبي قرأ القرآن وحصره وأمر بكتابته... وكان يقرأ على جبرئيل كل سنة مرة إلّا السنة التي قبض فيها فإنه قرأ عليه مرتين ولا يمكن قراءة ما ليس بمجموع ومؤلف ومرتّب"[٤١].

المستشرقون عموما وبالأخص المستشرق جوزيف الياش ومحمود أيوب[٤٢] يشيران الى الدليل الوحيد الذي يعتمد بخصوص نسبة دبستاني مذاهب الى الشيعة الإمامية هو ما ذكر بإن المخطوطة أو النصّ المعروف بنصّ بانكيبور قد تمّ شراؤها من مدينة لكناو في الهند وكانت مركزا لتعليم المذهب؛ وكانت عند شخص من آل النواب الشيعة الإمامية. ويقول البروفسور الياش أن هذا لا يعدّ دليلا صلبا للإشارة الى أن هناك قرآنا للشيعة موثوقا به ومقبولا من الجميع[٤٣].

ومن الجدير بالذكر إن مؤلف الدبستان قد أورد معلومات حاقدة عن الدين الإسلامي عموما يستحيل على أي مسلم شيعي إمامي أو سنيّ قولها؛ وهي تدلّ دلالة قاطعة على الهدف الخبيث للمؤلف المرتّد من وراء تعريضه بالإسلام وذلك بالوقوف عليها. فمثلا أورد المترجمان الفاضلان شيّا وترويير في الفصل الخاص بالمحمديين (وهي تسمية دأب على استعمالها بدلا من المسلمين؛ ويجدر القول إنها نفس التسمية التي شاع استعمالها من قبل عدد

من المستشرقين توكيدا على نظريتهم الحاقدة بأن الإسلام قد اصطنعه محمد حاشاه الله) إشارتهما الى نظرة المجوسية - أي الديانة البارسية التي يدين بها المؤلف كيخسرو إسفنديار - يعتقدون بأن الأوثان والأصنام هي مجرد قبلة لهم Kiblah ويدعم ذلك بشعر لشاعر مجوسي هو راي منوهبار كوجوهّاه Rai Manuhar Kuchwahhah متوجها الى المسلمين بقوله:-

يا أيها المسلمون إن كانت الكعبة موضعا لعبادتكم فلم إذن دمرتم الأصنام؟(٤٤).

O Moslem if the Kabah be the object of worship،why does thou reproach the adorers of Idols?

فضلاً عن هذه الفكرة المجوسية فالكتاب يشير الى مجلس ديني دعى الى عقده الإمبراطور المغالي جلال الدين محمد أكبر العظيم في المعبد المجوسي الذي كان يسمى عبادت خانه (بيت العبادة) في مدينة فاتح بور سكري Fatehpur Sikri.وقد ضمّ هذا الاجتماع أو المجلس اثنين من المبشرين المسيحيين وهما رودولفو أكوافيفا Rodolfo Acquaviva وفرانسيسكو هنريك Francisco Henrique. كما أظهرت اللوحة رسمهما التي رسمها الرسّام نار سنغ في سنة ١٦٠٥م Nar Singh.ووصف مؤلف الدبستان الجلسة بالتفصيل التي كان يديرها الإمبراطور نفسه فجاء فيها:- دخل الفيلسوف العالم المجوسي الى القاعة، وكان الهندوس حاضرين أيضا، وكان يجلس في المجلس ثلاثة من العلماء، مسلم ونصرانيNazarene ويهودي. وكانوا قد دعوا الى هذا الاجتماع، واتخذوا مواقعهم أمام الفيلسوف العالم. وقد افتتح الفيلسوف المناقشة بهذه الطريقة" إن البعثة السماوية لأنبيائكم لم تثبت بعد؟ وذلك يرجع الى عدة عوامل :- الأول، فإن كلّ ما جاء به الأنبياء أو ما قالوه يجب أن يكون متوافقاً Conformable مع العقل؛ والثاني،ينبغي على النبي أن

يكـون غـير مبـيح Free للجريمـة crime وأن لا يكـون مؤذيـا الى المخلوقـات الأخرى. ولكن موسى واعتماداً على رأي اليهود قد ربّاه فرعون Pharoah وبعد ذلك اتهمه بخدعة حربية Stratgem وذلك بإغراقه في مياه النيل. أمّا المسيح فقد سمح بقتل الحيوانات واستخدامها استخداماً سيئاً ill using.وأمّا محمد فقد هاجم قريش وقوافلها بنفسه. وقد سفك الماء، على يديه نفسه وليس هـذا فحسـب nay وإنّمـا بقتـل الكائنـات الحيّـة animated beings. فتـداخل عندئذ المسيحي قائلا" إن المسيح قد ولد من دون أب" غير إن العالم أجابه " أنتم أنفسكم قلتم إن جوزيف Josef النجار قد تزوج ماري، فكيف يصح القول بأن المسيح ليس ابن جوزيف؟". فلم يردّ النصراني على ذلك. وشرع الفيلسـوف تقـديم وصـف للإمبراطـور أكـبر العظـيم وآرائـه الحـرة المتسـامحة libreal قـائلا "إن جلالـة الملـك أكبر قـد أمّر مـن قبـل الله God وكـان يصـلي ويطبح نوازعهcontaing ويسبح للشمس باللغات الفارسية والهندية والتركية والعربية. كـان الجميع يصلون صلاة واحدة وهي صلاة الهندوس. وكانوا يغنون sing في منتصف الليل وعند الظهيرة. فضلا عن هذا فالإمبراطور قد منع أتباعه من قتل البقر ومنعهم أن يأكلوا لحومها. فالهندوس يقولون أيضا، لّما كانت البقر تقدم الكثير من المنافع للناس إذن ليس من الصحيح قتلها. وقد أسـتند أو حـافظ اليزيـديين Yazdanian علـى هـذه القـيم، فمـن الظلـم والطغيانTyranny قتل الحيوانات الأليفة"[٤٥].

جميع ما تقدّم وغيره لاسيما المعلومات الخاطئة جدا التي أوردها بشأن الإسـلام وعـن الـنبي صلى الله عليه وآله وعـن الإمـام المهـدي عجل الله فرجه الشريف؛ تلـك الـتي أدخلـها اليوغيزYogis المجوس التي تصرّح بأن المسلمين كانوا يأكلون الخنزير ولحم البشر، وبأن النبي هو الذي ألّف القرآن وإن المهدي في حقيقته بدعة ابتدعها الشيعة وغير ذلك من أباطيل أدخلها المؤلف كيخسرو أو محمد محسن فاني

كشميري المتصوف الذي نسب اليه تأليف الكتاب خطأ أو محمد صاعد سرمد الشاعر الذي ينحدر من أصل حاخامي يهودي Rabbanical origin ثم اعتنق الإسلام ثمّ ارتّد. وهو الذي وقع في حب غلام هندوسي اسمه آبهى جاند، كما أوضحه المترجمان وكما وقف عليه البروفسور وليمز جاكسون في مقدمة مختصر دبستاني مذاهب(٤٦).

دور شركة الهند البريطانية في الهند في إخراج كتاب الدبستان إلى النور:

ظلّ مخطوط الدبستان مركونا في مكتبة في إحدى المدن الهندية، وعلى الأرجح في مدينة المؤلف بتنه ثمّ انتقل الى بانكيبور الى أن استقرت نسخة منه في مدينة لكناو، منذ حوالى الربع الأخير من القرن السابع عشر للميلاد، أي بعد الانتهاء من كتابته. ولم يثر آنئذ أي اهتمام من المهتمين الهنود أو الفرس حتى سنة ١٨٧٩م، عندما توجهت إليه اهتمامات أحد المسؤولين السياسيين البريطانيين وأقصد به وليم جونز Sir William Jones المتوفى سنة١٧٩٤م. وكان لغويا philogist وعالما في تاريخ الهند القديم. ويعدّ مؤسّسا للجمعية الآسيوية Asiatic Society في كلكتا. وكان يعرف العربية والعبرية والفارسية واللاتينية والاغريقية والصينية. وقد التحق بمؤسسة أو كنيسة التمبل الأوسط Middle Temple، وفوق هذا وذاك فقد درس القانون لمدة ثلاث سنوات أهّلته بله قادته للعمل في الهند ربما لصالح شركة الهند البريطانية؛ وواقعا فإنه كان مهتما بتاريخ الهند وبلاد فارس، فقدّم محاضرات عدة في الجمعية الآسيوية في كلكتا، وله بحوث في مجالات الدين والأدب والشعر والموسيقى. ولكن هذا لا يعدم من وجود أهداف من وراء تحفيزه فرنسيس غلادوين(٤٧) الذي كان يتقن الفارسية من ترجمة الكتاب والإعلان عن المعلومات التي أوردها مؤلفه عن الأديان الشرقية وعن الإسلام بصورة عامة والفرق الإسلامية بخاصة بما له علاقة بالجوانب التي تبرز حالات الاختلاف أو

الائتلاف بين الفرق الأساسية التي لها قواعد اجتماعية عريضة قي المجتمع الفارسي والهندي على حدّ سواء. وهناك حالة متماثلة مع هذا الاهتمام للمسؤولين الغربيين أو الدبلوماسيين في الأوضاع الدينية للمشرق كإيران والهند وباكستان وغيرها. والمثال المتعلق بالسفير الفرنسي في طهران الكونت جوبينو غير بعيد عن الأذهان.فقد مثّل جوبينو بلاده سفيرا لمرتين الأولى كانت في سنة، ١٨٥٥. وكانت الثانية في سنة ١٨٦١ وحتى سنة ١٨٦٣. إذ كتب هذا كتابا عن الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى Les Religions et Philosophies dans L Asie)،.وطبعه في باريس سنة ١٨٦٥، ثمّ أعاد طبعه سنة ١٨٦٦، وطبع ثالثة في سنة ١٩٠٠. وعرض فيه ما هو أشبه بالنظرية بشأن التشيع في إيران،بما يؤشر الى متانة الروابط في التفكير والقيم والعادات والشعائر بين التشيع والديانات الفارسية المجوسية والزرادشتية، إذ رأى بأن عقائد الشيعة الإمامية إن هي إلاّ نسخة متطابقة مع العقائد في الأديان الإيرانية القديمة[٤٨]؛ وكرّر هذه الأفكار في كتابه الآخر الموسوم (ثلاث سنين في آسيا Trois ans en Asie) المطبوع في باريس سنة١٨٥٩.وهي أفكار ظلّت مؤثرة في دراسات المستشرقين الفرنسيين نظير دراسة البروفسور هنري كوربان العلمية القيّمة المؤلفة من ثلاثة أجزاء بعنوان (إيران الإسلامية[٤٩]:- أوجه من الروحانيات والفلسفات. وتناول الجزء الأول منها التشيع الإثني عشري). والمستشرق كوسين دي برسفال Coussin de Perceval إذ كرّرها في كتابه الموسوم (دراسة حول تاريخ العرب قبل الإسلام) المطبوع في باريس سنة ١٨٤٧-١٨٤٨[٥٠]، ويقع في ثلاثة أجزاء. وتأثر بها عدد من المستشرقين الإسرائليين أيضا. ومن الجدير ذكره إن آراء جوبينو قد ظلّت مؤثرة على كرور السنين، وبالفعل فقد تأثر بها البروفسور كوربان Corbin المشهور في دراساته عن الإسماعيلية وعن التشيع الإمامي. والذي عمل على تأسيس

مركز الدراسات الإيرانية. وكانت تجمعه روابط علمية مع المتخصّصين الإيرانيين[٥١].

فلعل السير وليم جونز كان يمثل السياسة البريطانية في حكومة الهند البريطانية، فنشط الى تشجيع الكتابة عن الميادين الدينية التي كان هو بالفعل معنيّا بها، وربما لانشغالاته لم ينهد بها نفسه لكونه كان يتقن اللغة الفارسية فحفّز الأستاذ غلادوين على القيام بهذا العمل. حقيقة إن غلادوين لم يترجم جميع كتاب الدبستان إنّما اختار بعض فصوله أو بالأحرى اختار فصلاً واحدا منه[٥٢]. مع ذلك فإن عمله هذا يعدّ عاملا مهما في إحياء التفكير بالكتاب والإعلان عن الفحوى الأساسي الذي اشتمل عليه ألا وهو ذلك المتعلق بقرآن الشيعة. فكتاب الدبستان الذي ظلّ قابعا مخطوطة في مكتبة في أحدى مدن الهند مدة مائة عام تقريبا، لأن الكتاب قد طبع في كلكتا في سنة ١٧٨٩ وذلك بتحفيز وتشجيع من السير وليم جونزWilliam Jones لزميله المتفقه باللغة الفارسية فرنسيس غلادوين F.Gladwin.

وبعد أقل من عقدين من الزمان تحفّز مسؤول بريطاني آخر وهو وليم بتروورث بيلي، Esq.William Butterworth Bayley(or Bailey)الإنجليزي - الهندي، المتوفى سنة ١٨٥٠م. وكان قد تثقف فيEton. وارتفع شأنه السياسي عندما تسنم منصب الحاكم العام Governor - General للهند بين سنة ١٨٢٨ - ١٨٣٠. ثمّ صار المدير العام لشركة الهند البريطانية الشرقية في الهند. لهذا يصبح من الميسور علينا القول إن بيلي كان يتوجه في تشجيعه مولوي نظير أشرفMoulavi Nazer Ushruf الذي يبدو كونه هنديا،لكنه كان يتقن الفارسية الى تحقيق دبستاني مذاهب وطبعه باللغة الفارسية، وتحفيزه على صنع خاتمة epilogueومسردGlossary من حوالي ستين صفحة بالكلمات والمصطلحات العربية والفارسية الغريبة مرتبة حسب الحروف الأبتية تشتمل

على أسماء الأعلام الواردة في الكتاب،فضلا عن المصطلحات الفنية. وتمّ طبع الكتاب في سنة ١٨٠٩م في كلكتا،بعنوان دبستاني مذاهب، تحقيق نظير (أو نزير) أشرف.(Dabestan-I Mazaheb.Bayley.Epliogue)، written by the editor of the Persian version Moulavi Nazer Ushruf)[٥٣].

وقد أطنب نظير أشرف في هذه الخاتمة في مدح السير وليم بيلي والدور الذي اضطلع به في التعريف بهذا الكتاب، الذي وصفه بأنه كتاب يثير الاحترام لما تمّ عرضه من أديان وعقائد وتعاليم بكل تسامح واحترام. فضلا عن إشارته إلى أنه قد جمع نسخا كثيرة موجودة في الهند؛ وهي تحتوي على أخطاء وتضاربات. وإن نسخة أكثر موثوقية قد حصل عليها من مدينة (ملك العالم) دلهي[٥٤].

ولم تمض سوى حوالى ثلاثة عقود على تحقيق نظير أشرف حتى شمّر الأستاذ البريطاني ديفيد شيّا David Schia المتوفى في سنة١٨٣٦م. وشيّا هذا كان لغوياً linguist أيضا كما كان وليم جونز، ودخل كلية ترنتي Trinity في دبلن عام١٧٩٣ وتخرج فيها سنة١٧٩٧م؛ وكان هو وعدد زملائه ينتمون الى جمعية أو جماعة الإيرلنديين المتحدة Society of United Irishmen. ويذكر بأن درايته باللغة الإيطالية قد أهّلته للاضطلاع بمركز أعلى رجل Chief Clerk (أو الموظف الأول) في مؤسسة mercantile التي كان موقعها في مالطا. وقد تعلم العربية والفارسية؛ وبعدها أصبح عضوا في القسم الشرقي في كلية شركة الهند البريطانية الشرقية Hailebury College. وكان مهتما بالتراث الإسلامي، فترجم كتاباً للعالم الفارسي ميرخواند وعنوانه (تاريخ الملوك الفرس الأوائل History of the early kings of Persia)،وطبع في لندن سنة ١٨٢٢م. بعدها تحرك لترجمة دبستاني مذاهب. غير إن الأجل قد وافاه ولّما ينتهي من الترجمة؛ إذ توفي في كلية هيلدبيري في ١١مايس ١٨٣٦م.

وبعد مدة نهد بإكمال الترجمة البروفسور أتوني ترويرTroyer. وبعد الإنتهاء طبع الكتاب بثلاثة أجزاء في سنة ١٨٤٣ في باريس،ثمّ أعيد طبعه بطبعة ثانية في لندن سنة ١٨٤٤[٥٥] (وورد إنه وأنتوني ترورير قد ألّفا أو ترجما الفصل الخاص بالتصوف في كتاب الدبستان تحت عنوان (ديانة المتصوفة أو الصوفية The Religion of the Sufis) وطبع في مطبعة أوكتاغون Ocktagon Press .Limite. وواقعيا فإن المترجمين قد أشارا الى هذا الكتاب على إنه مأخوذ من القسم الذي كتبه محسن فاني وعلى الصيغة الآتية The Religion of Sufis from the Dabistan of Mohsin Fani وطبع في سنة ١٩٧٩ في لندن[٥٦]، وهو مؤلف من ٨٧صفحة فقط. أمّا بشأن زميل شيّا في ترجمة الدبستان أنتوني ترورير فهو عضو الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وإيرلندا فرع كلكتا وباريس[٥٧].

وصف عدد من المستشرقين نظير جوزيف ألياش الترجمة والتحقيق الذي اضطلع به الأستاذين شيّا وترورير بكونه عملا جيدا يستحق الثناء[٥٨]. فقد حقّق الأستاذ ترورير مقدمة مسهبة بحوالي مائة صفحة تعدّ بحدّ ذاتها دراسة دقيقة عن جدلية الكتاب ومؤلفه وتاريخ ظهوره في الهند. غير إن البروفسور ترورير لم يحدّد بشكل واضح ونهائي هوية مؤلفه فراح يتنقل بين كونه كتابا ألّفه الصوفي محمد محسن فاني الكشميري المتوفى سنة ١٦٧١ أو١٦٧٢ وبين الرأي القائل بأن مؤلفه الحقيقي الموبد (Mage باللغة الإنجليزية) الزردشتي كيخسرو أسفنديار بن آزر أو آذر الكيواني، وبين أن يكون شخصا آخر باسم محمد صاعد أو سعيد الشاعر الفارسي الذي ينحدر من أصل حاخامي يهودي، اعتنق الدين الإسلامي. آخذين بنظر الاعتبار ما أشرنا اليه في أعلاه من رأي محدّد للبرفسور الإيراني عسكري S.H.Askari في بحثه القيّم الذي ألقاه في مؤتمر بمناسبة اليوبيل الذهبي للأسرة البهلوية الموسوم (دبستاني

مذاهب وديواني موبد). وفيه يرى بأن المؤلف قد أخفى أسمه لأنه أرتد عن الإسلام الى الديانة المجوسية؛ ومن الواضح إن الشريعة الإسلامية تبيح قتل المرتد عن الإسلام[٥٩]. ولذلك يمكننا الذهاب الى القول بعدم صحة نسبة الكتاب إلى محمد محسن فاني الكشميري.

جاءت الترجمة النهائية للدبستان من قبل الأستاذ ترويز في ثلاثة أجزاء كما أوردنا توّا، والحقيقة فإن ترويز قد خصّص الجزء الأول المؤلف من ٥٧٤ صفحة لدراسة عامة،فمثلا أحتوى هذا الجزء على استهلال لإعادة طبع الكتاب في سنة ٢٠٠٦. ثمّ يبتدأ الحديث عن طبعة ١٨٤٣ ومحتوياتها :- فالفصل الأول اشتمل على مقدّمة ومبحثين، الأول منهما يتناول الموضوع الأساس وهو كيف عرف الدبستان ومتى، ومن هو مؤلفه؟ ثم الموارد التي اعتمدها. أمّا المبحث الثاني فهو مناقشة حول الدساتيرDesatir. والفصل الثاني يحمل عنوان الدول والأديان والفرق المذهبية ووجهات النظر الفلسفية التي عولجت في الكتاب (الدبستان). والفصل ينقسم على خمسة عشر مبحثا يفصل فيها المترجم الميادين التي تضمنها الدبستان وهي:- الدين الأول - دولة مهاباد وأباد آزر،وشاهي آباد...الخ. والثاني يتناول البشدانية والأشكانية والساسانية. والمبحث الثالث عن الديانة الزردشتية. والرابع عن الديانة الهندوسية. والخامس عبارة عن إعادة تلخيص للأديان الفارسية والهندية. والمبحث السادس حول الديانة في التبت. والسابع عن الديانة اليهودية. والثامن عن الديانة المسيحية. والتاسع عن المسلمين. والعاشر عن السداكيين. والحادي عشر عن الروشانيين. والثاني عشر عن الإلهية. والثالث عشر عن الفلاسفة. والرابع عشر عن الصوفية. وأمّا الخامس عشر فهو إعادة تلخيص لمحتويات الدبستان بشأن تلك الموضوعات. والفصل الثالث تحت عنوان استنتاجات، وهو مؤلف من مبحثين. الأول منهما بعنوان تقويم عام للدبستان

ومؤلفه. والمبحث الثاني فيركز على ملاحظة تتعلق بالنسخة المطبوعة وببعض المخطوطات وبالترجمة لكتاب الدبستان. وأخيرا هناك عنوان المحتويات. وبعد ذلك فقد خصّص المترجمان الجزأين الثاني والثالث الأخير لترجمة الدبستان. وفي آخر الكتاب تمّ وضع الخاتمة التي كتبها مولوي نظير أشرف محقّق النص الفارسي للدبستان المطبوع في كلكتا. ثمّ الفهرست وبعدها (جدول بالخطأ والصواب Errata)[٦٠].

توجهات المستشرقين في التركيز على مسألة قرآن الشيعة:

مثّل موضوع قرآن الشيعة المزعوم لمؤلفه المرتدّ عن الإسلام الشيعي الى المذهب الزردشتي المجوسي - ولهذا السبب كان قد أخفى اسمه الحقيقي خوفا من تطبيقات الشريعة الإسلامية في التعامل مع أمثاله من المرتدين عن الإسلام واسمه في الواقع كيخسرو بن إسفنديار - أربعة توجهات أو دوافع عند المستشرقين الذين كرّسوا دراسات أو تعقيبات حول الكتاب، وهذه التوجهات هي الأخرى يمكننا توزيعها الى مرحلتين تاريختين هما:- الأولى تمثّل المدة من منتصف القرن التاسع عشر حتى تقريبا العقدين الأولين من القرن العشرين، والثانية تلك التي تؤشر إلى المدة الممتدة من ذلك التاريخ حتى يومنا هذا. ولعلنا لا نبالغ القول في تمييز أربعة توجهات للمستشرقين أو بشكل أعمّ للغربيين في هذا المجال :- الأول، ذلك الذي يتماشى والنهج التبشيري، أمّا الثاني فلعلنا نضعه ضمن التوجّه المنشّق عن المذهب الشيعي الإمامي، أي التوجّه البهائي، والثالث ربما هو توجّه علميّ لكنه غير متحرر من الموقف السلبي من الإسلام ولهذا ينعكس في الموقف من تفسير مسألة قرآن الشيعة، والرابع يتمثّل بالتوجّه اليهودي.

أولاً:- يعدّ المستشرق الفرنسي غارسين دي تاسي، واسمه كاملا Joseph Helliodore Sagesse Vertue Garcin de Tassy أول مستشرق قد

أماط اللثام عن ما هو مزعوم بوجود سورة جديدة للقرآن الكريم واختص بها الشيعة الإمامية، تلك التي تنصّ على إن الإمام علي نور الى جانب النور الأول نور النبي، وهي السورة التي عرفت بسورة النورين. وقد أعطى دي تاسي لبحثه المنشور في المجلة الفرنسية المعروفة المجلة الآسيوية (Journal Asiatique) في سنة ١٨٤٢م عنوانا هو فصل - وهنا لابد من الإشارة الى أن بعض المترجمين الأجانب للقرآن الكريم يطلقون على السورة في القرآن بكلمة Chapter - غير معروف في القرآن)[٦١]. ودي تاسي مستشرق ولد في مرسيليا من أب تاجر سنة١٧٩٤ وانتقل الى باريس، وتوفي في أيلول سنة١٨٧٨م. ودرس تحت إشراف المستشرق المعروف سلفستر دي ساسي في المدرسة التي أسّسها المعروفة بمدرسة اللغات الشرقية التي أسّسها سنة ١٧٩٥، وقد منح لقب الأستاذية في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة School living Orient Languages التي تأسّست سنة١٨٣٨م، وهو أحد مؤسسي الجمعية الآسيوية Societe Asiatique. وكان متبحّرا في لغات شرقية عدة كالعربية والعبرية والفارسية والتركية؛ وكان معنيّا باللغة الأوردية ومهتما بالكتابة عن الإسلام ولاسيما الإسلام في الهند. وكان يحتل الكرسي الهندوستاني الذي تأسّس في سنة١٨٢٨م. والأهم من ذلك فقد ألّف كتابا عن تاريخ الكنيسة المسيحية بعدة أجزاء، وإن الجزء الرابع منه عنوانه (مسيحيو العصور الوسطى من٥٩٠-١٠٧٣). وكان لهذا المستشرق دور في التبشير، إذ حملت مؤسسة تبشيرية اسمه تلك هي المعروفة ببيت دي تاسي في أفريقيا وهى Missionnaires Maison a Tassy،Afrique Blorcs،d [٦٢] ولذلك نؤكد مرّة أخرى بأن مسألة السور المزعومة التي تشكّل ما عرف عند المستشرقين وغيرهم بقرآن الشيعة قد ابتدأ تسليط الضوء عليها واخضاعها

للدراسة والبحث من قبل المبّشرين الفرنسيين والبريطانيين كما سنذكره لاحقا. ولهذا المستشرق شهرة واسعة في الكتابة عن الإسلام،وأول عمل له ذلك الموسوم (الإسلام طبقا أو أعتمادا على القرآن L، slamism d،l apre le Coran ، enseignement doctrinal et la pratique). وطبعه الطبعة الثالثة في سنة ١٨٧٤م في باريس. وله كتاب(فصل عن تاريخ الهند المسلمة، أو كرونولوجية سلطان دلهي شهاب الدين Un chaipter del،l histoire de، Inde musulman) ونشره سنة ١٨٦٥م. وألّف كتاب عن ملاحظات بشأن بعض الخصائص المتوافرة في ديانة المسلمين في الهند Memoires sur l Inde،les particularites de la religion musulmandans) ونشر في سنة ١٨٣٢م. وفي سنة ١٨٢٦ كتب كتاباً عن عقيدة الاحترام وأعمال الكياسة devoirفي الدين الإسلامي على وفق النصوص القرآنية والفقهية والأحاديث العربية)[٦٣]. وباختصار فالمستشرق دي تاسي قد تناول موضوعات عدة معتمدا فيها على القرآن الكريم؛ إذ كان يعرف اللغة العربية معرفة جيدة، فضلاً عن أنه كان قد كرّس نفسه لتعلم اللغة الهندية. وشهر في أوربا بكفايته اللغوية والتاريخية.ومما يستحق الإشارة إليه إن الباحثة سيده سوريه حسينSayida Surriya Hussain قد كتبت بحثا شاملا عن ترجمة حياة دي تاسي وإنتاجاته العلمية[٦٤].

ومهما يكن من أمر فلعل المتتبع يتساءل عن مدى تأثير طبع ونشر كتاب دبستاني مذاهب على توجيه اهتمام دي تاسي في تخصيصه البحث المذكور بشأن سورة النورين؟ آخذين بنظر الاعتبار أنه كان مهتما بالدراسات القرآنية، وكالذي ألمحنا إليه آنفا، ولكنه ليس من المؤكد تأثره بالترجمة الإنجليزية

للدبستان، إذ قد طبع الكتاب الذي ترجمه شيّا وترويـر أولا في باريس في سنة١٨٤٣م في حين كان ظهور بحثه في المجلة الآسيوية في العدد الثالث عشر منها وفي سنة ١٨٤٢م أي إن طبعه جاء بعد سنة من نشر دي تاسي بحثه؛ إذن هل يجوز لنا تقدير بأنه قد تأثر إمّا بترجمة غلادوين الى الإنجليزية للدبستان التي تمّ طبعها في كلكتا في ١٧٨٩م، أو بالنسخة الفارسية التي ترجمها وحقّقها نظير أشرف وبتحفيز من السير وليم جونز التي تمّ طبعها في كلكتا في سنة مع خاتمة ومسرد للمصطلحات العربية والفارسية والتي اعتمد عليها الأستاذ ديفيد شيّا؟؟،أم إنه لم يتأثر بكليهما إنّما اعتمد على مورد آخر لم يشر اليه؟. المهم جدا إن لبحث المستشرق دي تاسي أهمية لكونه يعدّ الأول من بين المستشرقين ممّن ترجم ودرس السورة المزعومة ولأنه زعم بأن الشيعة الإمامية يقولون بتحريف القرآن وبأن الخلفاء،أبو بكر أو عمر بن الخطاب أو عثمان ابن عفان رضي الله عنه قد اندفعوا لاستبعاد هذه السورة وسور أخرى عن القرآن الكريم خلال عملية جمعهم القرآن الكريم وذلك لإقصاء حقّ الإمام علي عليه السلام في الخلافة. ولربّ سائل يتساءل عن هذه السورة الكاملة التي نشرهاوترجمها دي تاسي الى اللغة الفرنسية ونشر صورة فوتوغرافية لها،ففي أدناه نصّ السورة بعد طباعتها من الصورة الفوتوغرافية:-

(يأيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكما عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم. إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم(؟؟ والآية كما هو واضح مختّلة في المعنى والبنية اللغوية - الباحث -) والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم. ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم. إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه

يفعل الله ما يشاء لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم. قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إنّ أخذي شديد أليم. إن الله قد أهلك عادا وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتّقون (وهاهنا نلحظ تبعثر الأفكار وعدم موضوعيتها - الباحث -). وفرعون بما(لّما - الباحث -) طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون. إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون.إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم. يا أيها الرسول بلّغ إنذاري فسوف يعلمون.قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون.مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنّات النعيم. إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم. وإن عليّا من المتّقين وإنّا لنوفيه حقه يوم الدين ما نحن عن ظلمه بغافلين. وكرّمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون. وإن عدوهم إمام المجرمين. قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم لها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون. يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتوليه.(؟) من بعدك يظهرون فأعرض عنهم إنهم معرضون.إنّا لهم محضرون في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون.إنّ لهم جهنم مقاما عنه لا يعدلون.فسبّح باسم ربك وكن من الساجدين. ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل. فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم الى يوم يبعثون. فاصبر فسوف يبصرون. ولقد أتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين. وجعلنا لك منهم وصيّا لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين. يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين. إنّ عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربّه.قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون. سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم

يندمون. إنّا بشرناك بذريته الصالحين.وإنهم لأمرنا لا يخلفون. فعليهم مني صلوات ورحمة أحياءً وأمواتاً يوم يبعثون. وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي. إنهم قوم سوء خاسرين. وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون. والحمد لله ربّ العالمين[٦٥].

فسورة النورين المزعومة والمعروضة للقراءة والتعليق لا تبدو أكثر من محاولة فاشلة،ربما يرجع مصدر فشلها الى كون مؤلف الدبستان شخصية مرتدّة عن الإسلام وكان هدفه الرئيس والمباشر توجيه الطعن للقرآن والعمل على إضعاف والتشكيك بالحجّة البلاغية والإعجازية التي وصف بها القرآن الكريم واستحالة تقليده أو الإتيان بآية واحدة لا سورة كاملة تماثله في المنطوق الروحاني الإلهي، وما التحدي الربّاني للكفّار من قريش كما ورد ذكره في كتاب الله إلّا الدليل الواضح والمباشر لتهافت ما تشتمل عليه هذه السورة المزعومة والسورة التي سنأتي على ذكرها لاحقا - الباحث -).

وللمرّة الثانية يعاني كتاب الدبستان من مشكلة تتمثّل فيركونه في زاوية النسيان إذ ظلّ قابعا في تينكم الدراستين دراسة دي تاسي وكاظم بيك لمدة طويلة بمعنى من سنة ١٨٤٢-١٨٤٣ إلى سنة ١٩٠٩م. وفيها أعيدت الحياة ثانية إلى الجدل الدائر بشأن قرآن الشيعة المزعوم.ومع إنه ليس من الواضح بالتأكيد مدى ارتباط دي تاسي بالحركة التبشيرية؛ علما بأنه كان قد كرّس جلّ نشاطاته البحثية عن الميادين المتعلقة بالإسلام دينا وفكرا وفي الهند على وجه الخصوص، والمهم فسيرته الذاتية وإنه كان تحت إشراف سلفستر دي ساسي في مدرسة اللغات الشرقية، ربما تؤشر الى عدم استبعاد بأنه كان له دور في ذلك. غير أن الحالة منذ العقد الأول من القرن العشرين تؤشر مباشرة الى جهود المبشرين البريطانيين في إعطاء جرعة من الحياة ثانية الى الموضوع تحت البحث، عندما نشر المبشر البريطاني كانون أدوارد سيل Canon Edward

Sell بحثه في مجلة الجمعية الأدبية المسيحية في مدراس في الهند سنة١٩٠٩م بحثا بعنوان (تنقيح القرآن The Recension of the Quran) ويقع في ست وعشرين صفحة[٦٦]. والمهم إن سيل استند الى كتاب دبستاني مذاهب، وعلى سورة النورين فيه. فمن هو كانون سيل ؟ إنه كان في الكنيسة الإنجليزية، وولد في وونتليك Wantlage الواقعة في جنوب غربي أوكسفورد سنة١٨٣٩م. وأنهى دراسته في كلية البعثة التبشيرية الكنسية في لندن. وفي مدراس صار زميلا في الجامعة في مدراس. وتسنّم منصب القس Priest سنة١٨٦٧م. وصار مديرا لعدة مدارس تبشيرية في مدراس. وله مؤلفات ونشاطات بحثية كثيرة عن الإسلام،دينا وعقيدة. فنشر كتابا في سنة ١٨٨٠م،وأعيد طبعه مرّات،الطبعة الثالثة منه في سنة١٩٠٧، وهو الموسوم (عقيدة الإسلام The Faith of Islam)[٦٧]. وله كتاب آخر بعنوان (بزوغ الإسلام وتطور تعاليمه الدينية Islam and its Rise and Progress of the Religious Orders of Islam) ونشره في سنة ١٩٠٨م. وكتب كتابا عن(تبجيل أو عبادة علي The Cult of Ali) وطبعه في سنة ١٩٠٩م. وألّف كتابا بعنوان (حياة محمد) وطبعه في لندن – مدراس سنة١٩١٣. وكتب كتابا عن أئمة الشيعة الإثني عشرية[٦٨]؛ وكتابا عن الخلفاء الراشدين. وله كتاب أو ربما ترجمة للقرآن وهو الموسوم (القرآن) وطبع في سنة ١٩٠٩. وباختصار فإن سيل قد أنجز أعمالا كثيرة عن الإسلام. وهو في مجال قرآن الشيعة المزعوم قد اعتمد في ذكر السورتين، النورين والولاية، على البحث الذي كتبه ميرزا كاظم بيك؛ ولعله اطّلع وانتفع من بحث المستشرق دي تاسي أيضا. والفارق الوحيد بين النصّ الذي أورده للسورتين نقلا عن كاظم بيك وبين ما سنعرضه في أدناه من النصّ الذي اعتمده المستشرق المبشر الآخر كلير تسدال Rev.St.Clair Tisdall، ويتلخص إن كانون سيل قد استند إلى الطبعة أو النسخة الفارسية للدبستان بينما أستند تسدال الى مخطوطة باللغة العربية تمّ اكتشافها في مدينة بانكيبور Bankipur في

الهند سنة١٩١٢م، وأخرى باللغة الفارسية.وأمّا المستشرق دي ساسي، كما ألمحنا سابقا فقد أعتمد الترجمة الإنجليزية التي نهد بها غلادوين أو على النسخة الفارسية التي حقّقها مولوي نظير أشرف.

ولم تمض على دراسة كانون سيل سوى ثلاث أو أربع سنوات حتى شمّر المستشرق المبشر البريطاني كلير تسدال في الهند عن ساعده ليؤلف في هذا الميدان بحثا بعنوان جديد هو (إضافات الشيعة على القرآن Shiah Additions to the Koran)[٦٩]. ومن المناسب ذكره إن كلير تسدال المتوفى في سنة١٩٢٨، مؤرخ بريطاني وله عناية خاصة بفقه اللغة، وقد خدم في جمعية البعثة التبشيرية الكنسية الإنجليزية المعروفة (Church of.(England s Missionary، Society in Isfahan،(Persia وكان يحتل منصب أمين سرّ الجمعية. وكان متمرسا في اللغات الشرقية وبضمنها اللغة العربية. ومن بين أهم مؤلفاته التي تظهر مدى أهتمامه بالدين الإسلامي من أجل تحقيق أهدافه التبشيرية كتاب (الموارد الأصلية للقرآن The Original (Sources of the Quran. الذي طبع في لندن - نيويورك عام ١٩٠٥م. والواقع فإن نظرة الى الفصول التي أخضعها للدراسة في هذا الكتاب تعكس بجلاء توجهه التبشيري؛ فمن بين محتويات الكتاب :- أثر المعتقدات العربية القديمة - أي ما قبل الإسلام - والطقوس والممارسات الجاهلية في القرآن. ثم أثر الأفكار والممارسات الصابئية واليهودية في القرآن. وأثر الديانة المسيحية وأسفار العهد القديم الأربعة عشر Apocryphal في القرآن. ثم وقف على العناصر الزردشتية في القرآن والحديث الشريف.وأخيرا درس الأحناف ومدى تأثيراتهم على ولادة nascent الدين الإسلامي. ووصل المستشرق تسدال مرتبة عالية في الكنيسة Reverent ووصل الى درجة علمية عالية في الكنيسة هي (دكتوراه في اللاهوت.M.A.D.D). فضلا عن ذلك فقد كتب بحثا آخر يحمل عنوان

(سورة الولاية وسورة النورين:- مدى صدقيتهما وماهية أسلوبهما الأدبي Sura al-Walayah and Sura al-Nurayn:-Authenticity and Literary Style[٧٠]. يشير فيه الى أن كانون سيل قد رجع في بحثه المشار اليه آنفا الى النسخة الفارسية، وهي حسب رأيه نسخة غير دقيقة تماما. فعلى سبيل المثال، يقول المستشرق تسدال، هناك في النسخة الفارسية وفي سورة الولايه (ولايت) إضافة الى الآية الأخيرة هي في الواقع غير موجودة في النسخة العربية، وفي الوقت نفسه هناك حذف في جزء من آية أخرى. ومن الناحية الأخرى فالنسخة الفارسية توفّر هوامش وتعقيبات قيّمة غير موجودة في النسخة العربية.وهذه المسألة تؤشّر الى ملاحظة مثيرة مفادها إن تسدال لم يشر الى جميع الترجمات والطبعات التي قدمرّ بها كتاب دابستاني مذاهب السابقة الفارسية والأردية والإنجليزية منذ أول محاولة قام بها فرنسيس غلادوين، ولا نعرف سبب ذلك، اللهم إلّا إنه كان يجهلها. ففي الأسطر الأولى من بحثه (إضافات الشيعة..) يقول ما نصّ ترجمته:- لا يعرف حتى الزمن الذي يكتب فيه البحث بإن الفيلسوف والمحقّق الفارسي، مؤلف الكتاب الذائع الصيت الموسوم دبستاني مذاهب، الذي دوّن اكتشافه لسورة تسمى سورةالنورين، وإن عددا قليلا من الفرقة الشيعية المسلمين قد سعوا لدعم وجهات نظرهم في الاشارة الى سورة غير موجودة في النسخ السائدة من القرآن[٧١]. فالمستشرق افترض فرضيات عدّة لم ينته الجدل حولها، منها اسم المؤلف، فإن كان يقصد به محمد محسن فاني الكشميري فهو لم يكن فيلسوفا ولا محقّقا إنّما كان متصوفا وشاعرا مغمورا. فضلاً عن هذا فالكتاب أو مؤلفه لم يكتشف السورة،إنّما اعتمد على عنصر سندي ضعيف جدا من الناحية المصدرية،إذ يصرح بكونه سمع بعض الشيعة يقولون بأن الخليفة عثمان رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء الراشدين قد عمل أو عملوا على تحريف الآيات القرآنية كما يزعم اولئك الذين سمعهم يتحدثون كما نصّ حرفيا. كذلك لم يشر الى من هم اولئك

الشيعة الذين كانوا يسعون للحصول على تأييد لموقفهم هذا، ولم يذكر أي مصدر لمعلوماته هذه. وبعد صفحة واحدة من أقواله تلك يذكر ما نصّ ترجمته:- إن هذه المقاطع - ويقصد السور والإضافات - جميعها قد تمّ اكتشافها في مخطوطة MS. للقرآن موجودة في بانكيبور في الهند في شهر حزيران ١٩١٢م(٧٢). إذن كيف تحقّق المستشرق بالتأكيد عن هوية المؤلف وعن سيرته العلمية؟؟.

ويستمر تسدال في عرض الفوارق بين النسخة التي بحوزته من المخطوطة عن السورتين وأصلها، كما يقول من الهند، وبين نسخة مصوّرة فوتوغرافيا لسورتي النورين والولاية (ولايت)، فيخرج بنتيجة تفيد بأن النسخة التي بحوزته ليست دقيقة تماما. وإن القارئ للنصّ العربي بخاصة لجميع الإضافات وبضمنها سورة الولاية مزيفة وغير حقيقية ولا يمكن القول إنها من القرآن، باستثناء سورة النورين، معتمدا في رأيه على تحليله المتعلق بالجانب اللغوي والنحوي وعلى وجود أخطاء نحوية يستحيل قبولها بكونها جزءا من القرآن. ولكن تسدال مباشرة وبعد تصريحه السابق يقول:- اللهم إلّا أن تكون هذه الأخطاء النحوية ترجع الى الناسخ أي ناسخ المخطوطة. ويعود مرّة أخرى الى موضوع تضعيفه للسور وبكونها مزورة، قائلا :- ولهذه الظروف والملابسات فالعجيب إننا لم نجد إن بعضا من هذه المقاطع - ويعني السور والإضافات - مقبولة وبشكلها العام من قبل الشيعة أو إنها ضمن النسخ القرآنية المطبوعة التي بحوزتهم(٧٣). مع إنه يصرّ إصرارا عجيبا على التناقضات التي يقع بها مرّة تلو الأخرى؛ إذ نراه مباشرة بعد استنتاجه الأخير حول عدم قبول الشيعة وعدم اعترافهم بوجود هذه السور والإضافات التي صارت عنوانا لبحثه يقول ما نصّ ترجمته:- ومن البديهي إن الخلفاء السنة لهم كلّ الحقّ والتبرير لأن يسعوا الى حجب أي من تلك السور والإضافات. مع إنه من الصعب

تصديق أن يكون أبو بكر أو عمر أو عثمان، الذين بالتأكيد كانوا أمناء ومؤمنين ومعتقدين بثبات بمحمد وليس من السهل أن يتعمدوا تبني سياسة في التحريف وبهذا يعرضون أنفسهم للإدانة وعقاب الجحيم - هنا يقصد المستشرق ما جاء في ذكر الله العزيز في سورة هود قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ آية١٨، وما ورد في سورة النحل رقم١٠٥ قوله عزّ من قائل ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. وما ورد في الحديث النبوي الشريف(من كذب عليّ متعمدا فليتبؤأ مقعده من النار)..الخ -(٧٤). وهو تعقيب تفوح منه رائحة الدس المسموم من قبله.

ولعل القارئ الكريم يستفسر عن فحوى السورة الثانية المزعومة وهي سورة الولاية التي ترجمها وصوّرها المستشرق أو بالأحرى اكتشفها لأول مرة، لأن المستشرقين السابقين إنّما يشيرون دائما الى سورة النورين. ونصّ السورة مطبوعة من النسخة المصّورة حسب الآتي:-

سورة الولايت سبع آيات :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين أمنوا آمنوا بالنبي وبالولي الذين بعثناهما يهديانكم الى صراط مستقيم. نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير. إنّ الذين يوفون بعهد الله لهم جنّات النعيم.والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذّبين. إنّ لهم في جهنم مقاما عظيما(؟؟)، إذا نودي لهم يوم القيامة أين الظالمون(؟؟) المكذّبون للمرسلين. ما خلفهم المرسلين إلّا بالحق، وما كان الله ليظهرهم(؟؟) الى أجل قريب.وسبّح بحمد ربك وعلي من الشاهدين.)(٧٥).

والقارئ اللبيب سوف يرى الركاكة والضعف الواضح في البنية اللغوية والأسلوبية والأدبية لهذه الكلمات التي وضعت جنبا الى جنب لكي تبدو وكأنها آيات من الذكر الحكيم وهي بالتأكيد ليست منه بشيء.

وقبل أن نطوي الحديث عن هذين المستشرقين،لا ريب من توحيد الأفكار بشأن توجههما التبشيري. واقعا كان من المفروض أن نضمّن في هذه القائمة المستشرق المبشر الأمريكي الناشط جدا صموئيل زويمر S.Zwemer الذي أدّى دورا مهما في الحركة التبشيرية ترقّى الى مرتبة رئيس المبشرين في الشرق الأوسط قبل انتقاله الى الهند أيضا إذ أصبح سنة١٩١٣ رئيس تحرير المجلة التي كان تسدال يعمل بها وينشر بحوثه وهي عالم الإسلام Moslem World. فضلا عن أنه تسنم منصب رئيس الهيئة التبشيرية الأمريكية في الشرق الأوسط، وكان لقبه العلمي دكتوراه في اللاهوت.D.D.F.R.G.S؛ وقد ألّف إسهامات عدّة عن الإسلام،وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله[٧٦]. وله كتاب عن القرآن الكريم.لكننا نجهل عن موقفه من هذا المحور المتعلق بقرآن الشيعة المزعوم. كذلك الحال بالنسبة الى المستشرق البريطاني المبشر الآخر المشهور دوايت دونالدسونDwight Donaldsonمؤلف الكتاب الذي ظلّ لمدة طويلة معتمدا من المستشرقين والعلماء المسلمين على حدّ سواء والموسوم (الديانة الشيعية :- تاريخ الإسلام في بلاد فارس والعراق The Shiite Religion :- A History of Islam in Persia and Irak) المطبوع في لندن سنة ١٩٣٣م[٧٧]. فإنه لم يقف على الموضوع في كتابه،على الرغم من ذكره في قائمة مصادره كتاب دبستاني مذاهب الذي ترجمه الأستاذان شيّا وترويير المطبوع في لندن سنة١٨٤٣م والأكثر صحة في ١٨٤٤م لأن الطبعة الأولى في باريس كانت بالفعل في سنة١٨٤٣، علما بأنه نسب تأليفه الى ميرزا محسن كشميري من دون أن يذكر اسمه الصحيح محمد محسن فاني الكشميري[٧٨]، فضلاً عن اهماله

شأن المؤلف الحقيقي الزردشتي كيخسرو إسفنديار الكيواني. فكان مثلا من المتوقع أن يقف دونالدسون على القرآن المزعوم للشيعة عند حديثه عن الصحيفة التي حسب ما ورد ذكرها كانت للإمام علي عليه السلام، فضلا عن حديثه المفّصل عن كتاب الجفر، لكنه لم يشر الى إن الإمام كان له قرآن خاص فيما عدا القرآن الذي تمّ الاتفاق عليه عند المسلمين(٧٩). مهما يكن فنطمح الآن الى توحيد الأفكار السابقة وحسب الآتي:-

١- حتى الآن فإن التعبيرات التي اقترحها المستشرقون السابقون كعناوين للتدليل على وجود قرآن للشيعة هي:- سورة غير معروفة للشيعة في القرآن -دي تاسي وكاظم بيك -؛ تنقيح الشيعة للقرآن - حسب عنوان كانون سيل -؛ إضافات الشيعة للقرآن - حسب عنوان تسدال -. وقد استمر ترديد هذه التعبيرات من المستشرقين في المدة بعد العقدين الأولين من القرن العشرين حتى وقتنا الراهن.

٢- والعنصر المشترك بين كانون سيل وتسدال، على الرغم من اختلافهما في ذكر عدد السور إذ تحدّد الأول بسورة النورين، فيما توسّع الثاني الى سورة الولاية أيضا،فضلا عن آيات كثيرة أخرى بصيغة آيات وليس على شكل سور كاملة.

٣- كانون سيل وتسدال كانا من المبشرين في الهند والأول منهما في مدينة مدراس. والمهم إن ميدان عملهما التبشيري كان الهند،المكان الذي أنتج مخطوطة كتاب دبستاني مذاهب،الذي اختصّ بمفرده ولوحده بذكر السورتين.

٤- واجتمع المستشرقان بكونهما من بريطانيا، ولعلهما كانا مرتبطين سياسيا بحكومة الهند البريطانية أو ما تسمى بمدرسة الهند البريطانية.

٥- وكانا من بين العناصر الأساسية في الإرساليات التبشيرية. فضلا عن كونهما من الأعضاء البارزين في مجلة عالم الإسلام. وهي المجلة Review التي تصدر كلّ ثلاثة شهور، وتغطي أبحاثها ونشاطاتها الأحداث السياسية الجارية في المنطقة،كذلك الأحوال الأدبية والفكرية للمسلمين. فضلا عن التطرق الى النشاطات والفعاليات التي تنهض بها البعثات التبشيرية في البلدان الإسلامية[٨٠] كما أشارت اليه الصفحة الأولى من المجلة.

وأخيرا لا بدّ من كلمة نختتم بها الحديث عن هذا التوجه التبشيري في الدراسات التي عنيت بهذا الموضوع. فيبدو إن دراستّي المستشرق كلير تسدال عن(الإضافات الشيعية على القرآن) وبحثه (مدى مصداقية السورتين النورين والولاية وأسلوبهما الأدبي) قد أسدل الستار على هذه المسألة عند المستشرقين المبشرين، فالمبشر الأمريكي زويمر والمستشرق البريطاني دونالدسون لم يقفا عليهما، على الرغم من أن الأخير قد ذكر كتاب دبستاني مذاهب ووقف بشيء من التفصيل على صحيفة الإمام علي عليه السلام وعلى كتاب الجفر. لذلك لا يجوز لنا القول باحتمالية جهله بالجدل الذي شغل مساحة فكرية واسعة بين العلماء منذ ظهور الكتاب حتى مدة إعداده لدراسته عن الديانة (أو حسب ما أطلق عليه مترجم الكتاب الى اللغة العربية عقيدة الشيعة) الشيعية. فمجال ذكره في كتابه عن ديانة الشيعة،إن كان يهدف الى الهدف الموجّه له، هو المجال الملائم جدا للوقوف على قرآن الشيعة. لكنه، حسب اعتقادنا، ليس لديه من جديد بالنسبة الى المسألة لاسيما وإن تسدال قد أغلق المجال عند تشكيكه في إن السورتين وبالأخص سورة الولاية والآيات الأخرى هما ليسا من القرآن الذي يقرأ به المسلمون عامة، وإنهما مزيفتين وغير مقبولتين من الجانبين اللغوي والأسلوب الأدبي والى حدّ ما التاريخي.

ثانياً:- يبدو وكأن هذه المسألة المتعلقة بقرآن الشيعة المزعوم قد خطّط لها، إذ حالما ظهر نصّ بحث المستشرق دي تاسي حتى انتعشت جهود الباحثين على أثر ذلك. ففي السنة اللاحقة، أي في سنة١٨٤٣م، نشرت المجلة الفرنسية ذاتها أي المجلة الآسيوية J.Asiatique، وفي العدد الرابع عشر للأستاذ ميرزا أسكندر كاظم بك Mirza Kazembeg بحثا تعقيبيا على بحث دي تاسي بعنوان (ملاحظات على فصل(أو سورة) غير معروفة في القرآن Observations sur chapitre inconnu du Coran)، وقد كتبه باللغة الفرنسية أيضاً[٨١]. فمن هو ميرزا كاظم بيك، مؤلف الملاحظات التعقيبية على بحث دي تاسي؟ الواقع إن المعلومات عن سيرة هذا الرجل شحيحة، فذكر بأنه عالم روسي من القوقاس، وهو الآخر كان من المنشقين عن الخط الشيعي الإمامي، إذ وصف بكونه بابيا أو بهائيا وقد كرّس نفسه للكتابة عن هذا الميدان؛ فكتب في سنة ١٨٦٥م كتابا عن البابية بعنوان (Babi Babidui) وتمّ طبعه قيسنت بطرسبورغ. وبعد عام واحد نشر الكتاب في المجلة الآسيوية باللغة الفرنسية عام١٨٦٦م. والكتاب يعدّ من الموارد الأساسية في الغرب عن البابية؛ وظلّ كذلك يعتمد عليه لسنوات كثيرة[٨٢]. فهو إذن كما تذكره المعلومة عالم بالعقيدة البهائية، ولهم مؤلفات وأبحاث تتعلق بهذه الفرقة.

والظاهر إن رأي دي تاسي في بحثه وملاحظات وتعقيبات ميرزا كاظم بيك ظلّا مثار جدل حول حقيقة السورتين الجديدتين أو غير المكتشفتين واللتين تدللان على نقص القرآن الكريم أو تحريفه، كما يزعم هؤلاء، على وفق ادّعاء الشيعة الإمامية كالذي ركزت عليه الدراسات السابقة،ففي دراسة

حديثة للبرفسور الألماني رينير برونر Rainer Brunner باللغة الفرنسية بعنوان (تساؤل بشأن تحريف القرآن في التفسيرات الشيعية La question de la Exegese Chiite،falsification du coran dans l). والملاحظ إن الدكتور برونر قد نشر هذا البحث أيضا باللغة الألمانية ولكن هذه المرة في مجلة ألمانية في سنة٢٠٠١ هي Abhandlungen fur die Kunde de Morgenlandes (Band LIII/I بعنوان(الشيعة ومسألة تكذيب القرآن Die Schia und die Koranfalschung يقف بشكل مركز على تفاسير كل من فرات الكوفي وعلي ابن إبراهيم القمي وتفسير العياشي وتفسير النعماني وتفسير الطبرسي وغير ذلك من التفاسير الشيعية ورجع الى كتب الأصول الأربعة بشأن التحريفات، من وجهة نظر برونر طبعا، في القرآن الكريم، وهو الآخر يركز على المعلومة التي سلّط دي تاسي عليها الضوء(٨٣). وللدكتور برونر بحث ثالث عن التاريخ والفقه عند الشيعة، تفاسير القرآن الشيعية، وهو باللغة الألمانية أيضاً Shiische.Koranexegese،Geschichte und Theologie der Schia

وحديثا أيضا وقف المستشرق، الذي يبدو أنه من أصل باكستاني ومتجنس بالجنسية الأمريكية أو الكندية، الأستاذ جناح ونترز Jonah Winters، المتخصّص كذلك في ميدان البهائية أو بالأحرى البهائي العقيدة، على موضوع قرآن الشيعة. فقد كتب بحثا بعنوان (قرآن الشيعة :- دراسة تحليلية للبحث عند العلماء الغربيين Shii Quran;an Examination of Western Scholarship)، ونشر في مجلة الدراسات البهائية الكائن في أوتاوا J. Of Baha،i Studies 1995 عام ١٩٩٥ على Volume 9:3Pp.69-75.، الإنترنيت، والمناسب ذكره أن الباحث ونترز كان قد حصل على الماجستير في البحث الموسوم (الموت من أجل الله:- الشهادة في الديانتين الشيعية والبابية Dying for God; Martyrdom in the Shii and Babi Religions) وتقع

الرسالة في ١٣٤ صفحة، في سنة١٩٩٧. فالأستاذ جناح ونتر البهائي المذهب قد كـرّس أعمالـه العلميـة علـى هـذا الحقـل. وقـد أسـهم مـع روبـرت ستوكمانRobert Stockman في الكتاب الموسوم (دليل مصدري للبحث العلمي عن العقيدة البهائية Resources Guide for Scholarly Study of I Faith،the Baha) المطبوع فيWilimette:United States Baha، I National Center Research Office).إذ تناول فيه علاقة الدين الإسلامي بفقه وكتاب بهاء الله(٨٤). وقد نهض بجمع وتهيأة فهرست بحوث تتعلق بألواح بهاء الله عنوانه Bibliography for the Tablets of Baha،u.LLah، والأول معني بتلك الألواح للمدة من١٨٥٣ - ١٨٦٣(٨٥).

وبخصوص بحث البرفسور جناح ونتر بشأن (قرآن الشيعة) فإنه استقى معلومات من كتاب بهاءالله الوسوم(Kitab-I Iqan)، الذي حققه وقدّم دراسة مسهبة حوله البرفسور بوك كرستوفر(Buck Christopher)، ويحمل عنوانا هو (الرمز والمخبؤ:- تفسير القرآن في كتاب بهاءالله كتاب إيقن:- دراسات في الديانة البابية والبهائية Symbol and Secret ; Quran Commentary in Baha،u،Llah، s Kitab-I Iqan)(٨٦). وعلى ذكر البروفسور السابق روبرت ستوكمانRobert H.Stockman فهو المنسق coordinator مركز الدراسات البهائية في جامعة ديبول DePaul ومدير مركز ويلميت Wilmette الذي تأسّس في سنة٢٠٠٧وقد نشر العديد من الكتب والدراسات البهائية، فضلا عن كونه عضوا في الاتحاد (أو الجمعية) الاحصائية للمجموعات أو الجماعات الدينية الأمريكية الذي تأسّس سنة٢٠٠٧ أيضا. وله مؤلفات عدّة عن البهائية نظير:- العقيدة البهائية :- الانتشار المبكر ١٩٠٠-١٩١٢، والمرأة في المجتمع البهائي في شيكاغو من١٩٠٠-١٩١٢ في مجلة World Order الجزء ٢٥ عدد ٢ لسنة ١٩٩٣-١٩٩٤. إذن فإن البروفسور روبرت

ستوكمان بهائي أيضا(٨٧).

فالخلاصة التي نهدف من ورائها في تتبع آمال ونشاطات هؤلاء العلماء إنّما هو تسليط الضوء على مدى الاهتام الواسع لأتباع هذه الفرقة المنشقّة عن الإسلام الشيعي الإمامي الإثني عشري، مع كونه موضوعا خارجا عن حدود المدة الزمنية التي حدّدت هذا القسم،الأول من الدراسة المتواضعة هذه. فهل يا ترى كان هذا الاندفاع هو الآخر يتماهى واندفاع المستشرقين المبشرين في التركيز على أن هناك موقفا شيعيا من القرآن الكريم المتداول بين أيدي جميع المسلمين في العالم؟ وبمعنى آخر هل هو منهج يعمل في الباطن أو العلني على تمزيق الأمة الإسلامية وتوسيع شقّة الخلاف والتناحر وعلى الأقل الحجاج وعدم الاتفاق بين المذاهب الدينية الإسلامية؟ إذ بالإمكان الاسترشاد بما أشار اليه البروفسور جناح ونترز في بحثه بشأن قرآن الشيعة المنوّه عنه في أعلاه ما نصّ ترجمته:- ليس من الغرابة أن المسألة التي تحيط بالقرآن هي شديدة الحساسية؛ وإن الاختلافات في النصّ القرآني وحتى احتمالية تحريفه corruption هي مسألة عصيبة وحاسمة. إنها مسألة تتطلب معالجة ملحّة exigent حينما نأخذ بنظر الاعتبار الانقسامات المذهبية والفرقية وربما الهرطقية بما له علاقة بالبدع في المجتمع الإسلامي. فالتحديات أو ارتياب الشيعة بالقرآن المعترف به هو أبعد من كونه حب فضول أو حب استطلاع فيلولوجي في فقه اللغة(٨٨). هذه الآراء تظهر الحقيقة التي يريد البروفسور جناح عرضها بما يتماهى وعرض تسدال وغيره من المستشرقين المبّشرين وغير المبشرين، دون أن نتجاوز عن توجّهه الرامي إلى حالة خطورة وجود هذه المسألة من زاويته ونظرته باعتباره من أتباع الفرقة البهائية.

ثالثاً:- وهناك توجّه ثالث لعل من الممكن وصفه بالتوجّه العلمي الموضوعي في عرض هذه الإشكالية.وخير من يمثّلها البرفسور

النمساوي الأصل والأمريكي الجنسية جوستاف فون غرونباوم G.E.Von Grunebaum، تثقّف في جامعتي فينا وبرلين ثمّ انتقل للعمل في جامعة نيويورك الأمريكية وبعدها الى جامعة شيكاغو. وقدّم خلال هذه الحقبة دراسات مهمة وعديدة عن الجوانب الحضارية الإسلامية، ولاسيما عن التمدن الإسلامي (❖). حقيقة إن البرفسور غرونباوم قد توفي في سنة١٩٧٢م، بما يعني عدم شموله بالمدة التاريخية التي حدّدت ميدان هذا القسم من الدراسة ولكن الرأي الذي أدلى به في كتابه الذي يرجع زمن طباعته الى الثلاثينيات من القرن العشرين له علاقة قوية بتنوع التوجّهات في دراسات المستشرقين ومسألة قرآن الشيعة. وواقعا فإنه لم يسهم في ميدان قرآن الشيعة مساهمة مباشرة، إنّما ضمّن الإشارة الى الموضوع في كتابه المشهور (الإسلام:-دراسات بشأن نمو الحالة الثقافية Islam: Essays in the Growth of a Cultural.Tradition وإشارته الجانبية عن موضوع قرآن الشيعة مفادها:- إن الشيعة قد وجّهوا تهمة بأن حذوفات خبيثة أو حقودة malicious omissions نفذّها الذين جمعوا القرآن (أي النسخة العثمانية كما وصفها حرفيا)، لآيات فردية أو حتى لسور كاملة تدعم مذهبهم. والمهم إنه عقّب على قوله هذا بما ترجمة نصّ بتصريحه إن السورتين الشيعيتين الوحيدتين اللتين ظهرتا الى النور (ويقصد غرونباوم سورة النورين والولاية) هما سورتان مزيفتان بشكل جليّ. أمّا بالنسبة الى الحذوفات الأخرى من الآيات، في إضافات قد أملتها اعتبارات عقائدية dogmatic، وهي من حيث الأسلوب غريبة عن الحقبة العثمانية - ويقصد خلافة عثمان رضي الله عنه - وليس من الممكن إقامة الدليل والحجة على وجودها أصلا؛ والشيعة أنفسهم لم يتفقوا على التحريف

المزعوم للنصّ المقدس الذي عمل أعداء التشيع على جمعها (والإشارة هاهنا إلى عملية جمع القرآن الكريم زمن الخليفة الثالث[٨٩].

فالمستشرق غرونباوم قد أدلى برأيه القاطع بأن مسألة قرآن الشيعة غير صدقية ولا يمكن التدليل عليها، والواقع يبدو أنه لم يرغب في المضي قدما بذكر الأدلة والحجج المؤيدة لموقفه لا كما اعتقده البرفسور البهائي جناح ونترز في بحثه عن قرآن الشيعة بأن غرونباوم أهمل مسألة دعم موقفه الذي نوّه عنه.

فضلاً عن ما طرحناه بصدد مواقف البروفسور جناح فإنه يعبر عن موقف آخر ربما هو أقرب الى التشكيك ودعم الاختلاف منه الى اتّخاذ الحيادية في العرض؛ فيقول ما نصّ ترجمته مثلا تحت موضوع (قراءات مختلفة للقرآن:- سورتان جديدتان) ما يأتي:- التنقيحات المتعددة للقرآن المعمول به اليوم هي ليست إلاّ الاختصارات أو النواقص الوحيدة للنصّ القرآني. فالمجتمع الشيعي قد، في أزمنة معينة من تاريخه، استند على حقيقة أو على واحدة تتفق ومعتقداتها، أي ما يعرف أن هناك نصّا أصليا أو غير محرّف يصرّح بأن عليا والأئمة هم الورثة الشرعيين لمحمد. ويقول في موضع آخر ما نصّ ترجمته:- ليس هنالك من شك بوجود قراءات متنوعة للنصّ القرآني، وفي حالة عدم وجود شيء آخر،فإن هذه الحقيقة بعينها هي التي دفعت عثمان الى أن يقرّ أو يشرّع نصّا منفردا.وإن الكثير من المسلمين أولئك الذين كانوا مستائين أو غير راضين من الحكم الأموي كانوا أيضا غير راضين أو مستائين من النصّ العثماني، وبالأخص أنصار علي[٩٠]. وإنه من الواضح فإن اعتراضات أو الرفض لهذا التنقيح بمدة أقدم من ذلك، لأن الحزب السني وجدوا من الضروري أن يختلقوا الأحاديث التي يظهر فيها علي بأنه قد أعلن عن قبوله بنصّ عثمان. والعامل الحاسم في هذه المسألة هي:- ماهي النصوص المختلفة،

ثمّ كيف وكم هي مختلفة،فإنها سوف لم تكتشف أبدا. والغموض هذا قد فسح المجال الى ما هو مثبّت بإنه من أكثر الموضوعات سخونة في الجدل بين العلماء للقرآن الشيعي من كلّ من الشيعة ومن المستشرقين على حدّ سواء[٩١].

رابعاً:- أدى المستشرقون اليهود دورا ملحوظا في الدراسات التاريخية والحضارية الإسلامية ولاسيما في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي والمجتمع اليهودي بشكل أخص. أمّا عن دورهم في حقل الفرق والمذاهب الإسلامية والسيرة النبوية المطهّرة فهو أكثر وضوحا. واقعا إنهم والمستشرقين الألمان من اليهود وغير اليهود قد التفتوا الى هذا الحقل منذ الحِقب المبكرة من القرن التاسع الهجري، على عكس المستشرقين المبّشرين الذين حصروا زاوية اهتماماتهم في دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وآله والدين الإسلامي وتعاليمه والقرآن الكريم. والذي يعنينا حقل الدراسات الشيعية، فمستشرقون نظير جولدتسيهر وشتروسمان وفايل وإسرائيل فريدلاندر قد أسهموا اسهاما واسعا في هذا المجال وأضحت هذه الدراسات مواضيعا للجدل والمناقشة بين المستشرقين وغير المستشرقين حتى وقتنا الراهن. فمثلا قدّم فريدلاندر بحوثا عديدة ولكن بحثيه عن عبد الله بن سبأ وعن البدع الشيعية كما قدّمها ابن حزم الظاهري الحاقد على التشيع في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) يعدّان تطوراً ليحتلا مركز الصدارة عند المستشرقين المعاصرين له والمتأخرين عنه بشكل خاص حينما يتعرضون إلى العقيدة الشيعية الإمامية.

ودراسات المستشرق أغناص جولدتسيهر Yitzhaq Yehuda Ignaz Goldzeiher هي الأخرى باتت لا تفارق الخيال الاستشراقي العام واليهودي والإسرائيلي؛ ناهيك القول إن بعضها نفذ الى العقلية العربية والإسلامية منذ

بواكير القرن العشرين. وهذه جميعها تعدّ دليلا جليّا على سعة إطلاعه في التاريخ العقيدي والسياسي والفرقي للإسلام؛ وطبيعي فإن ما أشرت اليه لا يفهم منه صواب وصدقية استنتاجاته وتفسيراته، بقدر ما هي دراسات تحفّز على المحاججة والردّ. إنه مستشرق هنغاري توفي سنة١٩٢١م، وقد عدّ والمستشرق الألماني ثيودور نولدكه والمستشرق الهولندي سنوك هورجرينيه من المؤسسين للدراسات الإسلامية الحديثة. وهو بصورة عامة يكتب باللغة الألمانية فقد درس وتثقف في جامعات بودابست وبرلين وليبتزج وليدن، وزار فلسطين ومصر وسوريا، وحضر محاضرات شيوخ المسلمين في جامعة الأزهر[٩٢]. وينبغي علينا ملاحظة أمر مهم ألا وهو إن المصنفين العرب للمستشرقين يضعونه ضمن اولئك المستشرقين المناوئين والحاقدين بسبب تفسيراته السلبية بشأن الإسلام والتاريخ الإسلامي. له دراسات كثيرة ومتنوعة. ويؤسفني القول بأن عدم معرفتي اللغة الألمانية قد حال بيني وبين قراءات مستفيضة لإسهام هذا العالم ومناقشة آرائه والردّ عليها ردّا علميا ومباشراً. وعندما كنت في دور إعدادي كتاب (التشيع والاستشراق) المطبوع حاليا، ترجم ليّ أحد الأخوة مشكورا بحوثه بشأن مذهب التقية المنشور في مجلة ZDMG في سنة ١٩٠٦ وبحثه مختصر تاريخ أدب الجدل السني الشيعي Beitrage zur Literaturgeschichte der Shia und der sunnitschen Polemik المنشور في سنة١٨٧٤م. وللمستشرق الإسرائيلي البروفسور إيتان كوهلبرغ رأيا أبداه بصدد مواقف غولدتسيهر عن التشيع لابدّ من الإستشهاد به،إذ يرى بأن جولدتسيهر غني عن التعريف وهو غير معنيّ تماما بالتشيع ولكنه قدّم آراءً وتفسيرات في غاية الأهمية وهي تدل على ذكائه ومقدرته العلمية[٩٣]. فاعتمادا على ما وفّرته تلك البحوث والبحوث المتعددة التي أسهم في دائرة المعارف الإسلامية (بطبعتها القديمة) وما ترجم من بحوثه الى اللغة الإنجليزية وجدت هذا المستشرق قد اعتنى أيضا بالمسألة التي نحن

بصددها وهي قرآن الشيعة. والشكر موصول الى البرفسور جوزيف أيلياش الذي كتب بحثا قيّما في المجلة الذائعة الصيت آربيكاArabica بعنوان (قرآن الشيعة :-إعادة نظر في تفسير جولدتسيهر[٩٤].

The Shiite Quran:A Reconsideration of Goldziher،s Interpretation

وتفسير جولدتسيهر المتعلق بموضوع قرآن الشيعة قد ورد أيضا في دراسته الموسومة(توجهات أو نزعات التفاسير الإسلامية للقرآن Die Richtungen der islamishen Koranauslengung)، المطبوع طبعة أولى في أبسالا سنة١٩١٣، وأعيد طبعه في ليدن في سنة١٩٥٢م. واعتماداً على ملاحظات كلّ من البروفسور جوزيف الياش والبرفسور مائير بار آشر فإن أصل هذا الكتاب عبارة عن محاضرات قدّمها لطلبة جامعة أبسالا في ميدان تفسير القرآن وعرّج خلالها على موضوع قرآن الشيعة. وأعاد النقاط الأساسية في محاضراته السابقة تلك في كتابه حول الفرق الإسلامية الموسوم(Vorlesungen uber den Islam) المطبوع في هايدلبرغ في سنة١٩١٠وطبع طبعة ثانية في سنة١٩٢٥م، وترجم الى اللغة الفرنسية بعنوان(Islam،Le dogme et la loi de l) ونشر في سنة ١٩٢٠م.

لقد وصف العرض الذي سلّطت محاضرات البروفسور جولدتسيهر الضوء عليه بأنه أول وأعمق عرض لمسألة قرآن الشيعة المزعوم، وهو في الواقع ركّز في هذا الميدان على العلاقة بين التشيع وبين القرآن بصورة عامة دون أن يجعل ترجمة السورتين، النورين والولاية، المحور المركزي لرأيه. ففي كتابه (التوجّهات أو النزعات الشيعية...الخ) - اعتمادا على وصف البروفسور جوزيف أليباش الذي يرجع اليه الفضل في التعريف بتفسير جولدتسيهر - يأخذ بناصية استنتاجه على وفق أربعة عناصر أساسية:- أولها الشيعة تدّعي بأن القرآن الذي عمل الخليفة عثمان رضي الله عنه على جمعه بوساطة اللجنة المنتخبة

من قبله ليس القرآن الأصلي أو الحقيقي True Quran الذي أنزل على النبي محمد. وثانيها وفي هذا السياق فهناك آيات كثيرة والبعض منها سورا كاملة فيها ذكر لتمجيد علي وتدافع عن حقه وتعرض مكانته العالية وفضائله وأهل بيته قد حذفها عثمان أو حذفتها اللجنة المشكّلة. فضلا عن إن الخليفة قد غيّر وبدّل في نظام ترتيب السور والآيات الأخرى. بعد هذه المقدمة يذكر جولدتسيهر بأن هناك سورتين قد حذفتا من القرآن وهما سورة النورين The Two Lights وتشتمل على إحدى وأربعين آية وسورة الولاية Walaya وتشتمل على سبع آيات. وثالثها إن عليا يمتلك نسخة من القرآن وهي النسخة الصحيحة والمتكاملة، والتي انتقلت من بعده الى الأئمة من بعده والى الإمام الثاني عشر. ورابع تلك العناصر التي استنتجها المستشرق تفيد بأنه في حالة غياب الإمام المهدي،فعلى المؤمنين أن يقبلوا بالنسخة العثمانية(نسبة الى الخليفة عثمان) المنقحة recension. والمناسب ذكره إن البروفسور أليـاش قال بكونها استنتاجات قد تبناها بدون تردد وبشكل كامل الإسلاميون - ويقصد العلماء المتخصّصين في الميادين الإسلامية -.

ولمناقشة النقاط الافتراضية التي توصل إليها المستشرق جولدتسيهر والتي افترض البروفسور أليـاش أنها مقبولة من المؤرخين في التاريخ الإسلامي، يتبادر الى الذهن تساؤل عن الجانب المصدري الذي اعتمده جولدتسيهر. حقيقة فإن الباحث قد وقف بمساحة فصل كامل في الكتاب الذي هو الآن تحت الطبع على مسألة حيوية مثل تلك معتمدا على المنابع الإسلامية الأساسية. فبالنسبة الى الاستنتاج الأول يبدو أنه أستقاه من كتاب دبستاني مذاهب نفسه، إذ يقول مؤلف الدبستان بأنه سمع الشيعة، في المدينة التي كان يسكنها، يزعمون بأن عثمان قد حرّف النسخة الأصلية من القرآن وحذف الآيات والسور الي تمتدح عليا عليه السلام، فالمستشرق جولدتسيهر أمّا إنه قد استقاها

من النصّ الفارسي للدبستان الذي أورده كلّ من ديفيد شيّا وأنتوني ترويرر، وورد أيضا في مختصر الدبستان الذي نهد به الأستاذ وليمز جاكسون،ونص ترجمته كالآتي:- يقول الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان وآل أمية وآل العباس وأتباعهم قد اغتصبوا من مكانة الأئمة،وذلك بغضا لهم وحسدا منهم. والبعض منهم زعم إن عثمان قد أحرق بعض الأجزاء Volumesمن القرآن، ومن ثمّ ألغى بعض السور تلك التي كانت في صالح علي وذريته، وفيما يأتي واحدة من هذه السور...ويقدم ترجمة بالإنجليزية لسورة النورين. أو من التحقيق الذي قام به مولوي نظير أشرف المطبوع في كلكتا سنة ١٨٠٩م، أو من النسخة التي نهد بترجمتها كلّ من ديفيد شيّا وأنتوني ترويرر الى اللغة الإنجليزية في سنة١٨٤٣م. أمّا بشأن النقطتين الثانية والثالثة فهما أيضا قد تمّ ذكرهما في دبستاني مذاهب،فضلا عن ذلك فقد كانتا هما المسألتان الأساسيتان لبحثّي المستشرقين الفرنسي البروفسور دي تاسي والروسي ميرزا كاظم بيك فقد ترجما سورة النورين الى اللغة الفرنسية. والنقطة الأخيرة في استنتاجات البروفسور جولدتسيهر فلا نعرف المصدر الذي استند عليه، ولعله أحد مؤلفات العلامة المجلسي المتأخر.

إذن فإن استنتاجات جولدتسيهر شأنها شأنِ التفسيرات السابقة مرجعها الأساس كتاب دبستاني مذاهب الذي ألّفه أحد المرتدين عن الإسلام الشيعي الى الديانة الزردشتية أو المجوسية ولكنها هولّت وعمّمت وضخّم حجمها من جانب المستشرقين المتنوعين في توجّهاتهم الاستشراقية لتكون نتيجتها متناغمة مع فلسفة هؤلاء إزاء مذهب التشيع بأنه مذهب هرطقي ويتبنى البدع،تماما كما انطلق أول مرّة كيخسرو إسفنديار وقبله بزمن بعيد يرجع الى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ابن حزم الظاهري المعادي لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

هوامش البحث

(1) LAmmens, H, Fatima et les Filles de Mohamet(Rome 1912)
(2)Becker, C.H.(Grundsatz lisches zur Leben Muhommad Forschung) in Islam Studen.Volume.I(1913).Pp.520 – 27.
(3) Sprenger, A. , Das Leben und die Leher Muhammad.
(4) See Kohlerg.E.(Western Studies) in(Belief and Law, Op.Cit,P.33-34.
(5) Massigon , L. (Der gnostische kultus der im schiitischen) in Eronos Jahr bucher 1938 , idem. (la Mubahala de Medine et L, hyperdulie de Fatima) Paris 1955, idem (La notion du voeu et la devotion muslmane a Fatima) in Studi Orientalistici (Rome 1965) Volume.2/P.118 119.
(6) (Fatima) in Ensyclopedia of Islam (New Edition)Volume. 2/P. 842-850 K by L. Vaccia Vagelieri.
(7)Ibid.P.842, 849,850.
(8) Matti, Moosa, The exterimist Shia.Op.Cit Pp.77-87: Corbin , H. Cyclical time and Ismaili Gnosis (London 1983).P.183.
(9)Linda S. Walbridge : The most Learned of shia : The Institution of the Marja Taqlid (Oxford University Press 2001)
(10) Todd Lawson : Fatima s Religious Authority in the early Work by the BAb ,Pp. 94 - 127
(11)Ibid, P.102 – 104.
(12)Ibid,P.102 – 104.
(١٣) ناجي،د.عبد الجبار: دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم.في مجلة المصباح،العتبة الحسينية المقدسة،عددأول،ربيع ٢٠١٠مص١٠٥—١٣٣ولاسيما ص. ١٣٠
(١٤) ينظر، Woolworth,W. "A bibliography of Koran texts and translations" in Moslem World,Vol. 7,1927 Pp.279-289;(Koran) in Encyclopedia of Islam, by.J.D.Pearson; Arthur.Jeffery: History of the text of the Quran,p.182-184.
(١٥) See Garcin De Tassy, " Chapitreinnconno de Coran ' in Journal Asiatique.VolumeXIII,1842,Pp.431-439
(١٦) ينظر ،دبستاني مذاهب (النصّ الفارسي) Farsi Text.Edited with glossary by.Nazir Ashraf(Calcuta 1809.
(١٧) See W.St.Clair Tisdall," ShiahAdditions to the Kuran" in Moslem World. A Quarterly Review. Volume III,no.3 ,1913.Pp.227-241.
(١٨)Ibid. P.E.
(١٩)Mirza Kazembeg, " Observaions sur chapitre inconnu du coran" in Journal Asiatique.Volume XIV.PP.371—429.
(٢٠)See S.H. Askari,"Dabistan-I Madhahib and Diwan-I Mubad" in Indo-Iranian Studies Presented for the Golden Jubilee of the Pahlavi Dyanasty of Iran,ed. By,F.Mujtabai,New Delhi.Pp. 85-104

(٢١) ينظر العلّامة الشيخأغا بزرك الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة جزء ٤ صفحة ٢٦. نقلا عن البحث القيم الذي أدخل في شبكة الإنترنيت بقلم البروفسور M.S.M.Saifullahمن لندن والعلامة الشيخ صالح الكرباسي ضمن توليه الردّ القيم على المسألة في بحث بعنوان (هل صحيح إن قرآن الشيعة يختلف عن قرآن سائر المسلمين وإن فيه سورة تسمى بالولاية وأخرى بالنورين؟؟.

(٢٢)(Dabistan al- Madhahib) in Encyclopedia of Islam(New Edition) Volume II.P.74.By J.Horovitz-H.Masse.ينظر المقالة القيّة التي أدخلتها وهيأتها مؤسسة مقرن.Muqran Org بعنوان .Surah al Nurayn and Surah al-Walayah

(23) See Ency. Of Wikipedia(Dabestan-I Madhaheb)

(24) See de Tassy ,op.cit.;Claire Tisdal,"Shiah Additions".P.228.;JosephEliash," The Shiite Quran:-A reconsideration of Goldziher,s Interpretation" in Arabica Revue D,etudes ARABES.Volume XVI,1969.Pp.15—24; Meir Bar Asher,"Variant readings and additions of the Imami-SI,A to the Quran" inShiism, critical concepts in Islamic Studies(2007).VolumeII,Pp.86—115.

(٢٥) (Dabestan-I Madhaheb) in Ency. Iranica,by Fath Allah Mojtaba أعتمادا على الإنترنيت بعنوان دائرة المعارف الإيرانية.

(٢٦) ينظر المعلومة الواردة في الجزء الأخير(الثالث) من الدبستان ترجمة ديفيد شيّا وأنتوني ترويرDavid Shai and Anthony Troyer;- Dabestan-I Madhaheb,Paris 1843

(٢٧) خاتمة نظير أشرف بعنوان (خاتمة نزار أشرفNazar Ushruf إذ أمتدح السير وليم بيليBaylay ،بضمنها المسردGlossary

(٢٨)(Dabestan-I Madhaheb) in Ency. Iranica,by Fath Allah Mojtaba

(٢٩) وقد ترجم بعض التعاليم Teachings إلى الإنجليزية ،وطبعها في New Asiatic Miscellany I- Oriental Literature or the Dabistan(Translated from the Orignal Persian by Shea and Anthony Troyer with an introduction by A.V.Williams Jackson(New York,1937. ينظر . 2 ,Calcutta, 1789، كذلك ينظر بحث البروفسورفتح الله مجتبى في دائرة المعارف الإيرانية.

(30) David Shia(or sometimes Shea)and Anthoney Troyer:-Dabistani Mazaheb, School of Manners. Translated from Persian(Paris 1843,2nd edition, London, 1844.

(٣١) ينظر A.V.Williams Jacosonوقد نشر كتاب الدبستان في جزء واحد مختصر مع مقدّمة جديدة في نيويورك سنة١٩٣٧م ثم أعادها في سنة في نيويورك--لندن١٩٠١.

(٣٢) أعتمادا على بحث البروفسور مجتبى فقد طبع بالكجراتية طبعتين في بومباي في سنة١٨١٥م وفي سنة ١٨٤٥م. وأحدث طبعة قام بها الأستاذ رضا زاده ملكReza zada Malek في جزئين وطبعا في تهران في سنة١٣٦٢ شمسي١٩٨٣م.

(٣٣) م.ن.

(34) Ency. Of Iranica(Dabestan-e Madaheb)

(٣٥) Ibid. ينظر أيضا محتويات كتاب الدبستان الذي ترجمه شيّا وترويز ،فالجزء الأول يتألف من٥٧٥صفحة،أمّا الجزء الثاني الذي يتضمن الديانة الإسلامية فيتألف من٤٦٢صفحة، والجزء الثالث يتألف من ٣٨٦صفحة.ينظر عن الأقتباسات المذورة بين المعكفين كتاب الدبستان الذي أوجزه الأستاذ جاكسون.Oriental Literature or the Dabistan.Op.cit.Pp.323—24

(٣٦) ينظر كتاب الدبستان الذي أختصره البروفسور جاكسون بعنوان Oriental Literature or the Dabistan> Translated by David Shea and Anthony Troyer from the original Persian(New York 1937).Pp.398—411.

(37) Ibid.P.323 وكذلك. Dabestane-I Mazahib) in Ency. Iranica

(38) See Ibid.P.329; J.Eliash, op.cit.

(٣٩) Jonah Winters ,"Shii Quran:-An Examination of Western Scholarship (Bahai Library Online) ينظر كتاب دبستاني مذاهب (الفارسية) جزء١صفحة٢٤٤، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،٢٤٧.

(٤٠) م.ن.

(٤١) أبن شهراشوب المازندراني:-مثالب النواصب(منسوب) نقلا عن مخطوطة في لكنهاو في الهند ورقة ٤٦٨ حيث تمّ أكتشاف المستشرق تسدال مخطوطة الدبستان.

(42) See Tisdal,op.cit.P.228;J.Eliash," op.cit.M.Ayob" The Speaking Quran and the Silent Quran;- a STUDY OF THE Principles and Develoment of Imami Shii tafsir" in Andrew Rippin,ed.Approaches to the history of the Interpretation of the Quran ,Oxford Univer, Press.Oxford(1988)Pp.177-198.(State University of New York Press ,Albany 1984)

(43) ;idem "The Quran and its Interpreters

(44) Ibid.

(٤٥) ينظر كتاب الدبستان الذي أختصره البروفسور جاكسون، المصدر السابق باللغة الإنجليزية (Dabestan-e Mazaheb) in Ency. Wikipedia،كذلك.P.329.

(٤٦) م.ن.

(٤٧)See Askari,op.cit.P.91; Rieu;e. Persian Manuscripts. Volume I,P.142-143. م.ن.

(٤٨) ينظر دائرة المعارف الإيرانية بحثا(Dabestan-e Madaheb);Askari,op.cit. P.91 ومن الجدير ذكرهإن محمد صاعد(أو ساعد) المعروف بسرمد كان يهوديا فارسيا ثم تحول الى الإسلام وتصوف. أنتقاله الى الهند وقع في غرام شاب هندوسي ، وصار تلميذه.والمهم إن سرمد هذا وتلميذه الذي كانله معرفة بالأسفار اليهودية، هما اللذان زوّدا كيخسرو إسفنديار مؤلف الدبستان بالمعلومات حول الفصل(تعليم) الخاص بالديانة اليهودية. وقد ألف المستشرق اليهودي المعروف والتر(أو فالتر)فيشل Walter.J.Fischel بحثا عن البعثة التبشيرية اليهودية في بلاطات

الأباطرة المغول في الهند في العصر الوسيط بعنوان "Jews and Judaism at the courts of the Moghul Emperors" in Medieval India " In Proceedings of the American Academy for Jewish Research. Volume 18(1948) Pp.137-177.

(٤٩) ينظر مقدّمة دبستاني مذاهب الذي ترجمه الأستاذ شيّا وترويـر ،الجـزء الأول ، وهـو بعنـوان:- Dabistan-I Mazahib, or School of Manners with the translation by Mauavi Nazir Ashraf.

(٥٠)Gobineau, Les Religions et Philosophies dans L,Asie central Paris 1865, 3rd edition 1900; idem, Trois ans en Asie((Paris1859).

(50) Corbin,H. En Islam iranien,aspects, spirituels et Philosophiques.I,Le Shiisms doudecimain.

(52) Caussin de Perceval:-Essai sur l,histoire de Arabes avant l,Islamism (٥٣)ثلاثة أجزاء(باريس ١٨٤٧-١٨٤٨م.

(٥٤) ينظر آية الله مرتضى المطهري:- الإسلام وإيران (ترجمة محمد هادي اليوسفي الغـروي (منظمـة الإعلام الإسلامي) جزء ، ص.٨٩-١٠٣، كـذلك نـاجي،د. عبـد الجبـار:- التشـيع والأستشـراق (بيروت ٢٠١١م ص١٧٧ ٢١١، ٢١٣، ٢٢١. ووكوربان وتأسيس المركز في إيران.

(٥٥) ينظر مقدّمة الأستاذ ترويـر في الجزء الأول مـن كتـاب Dabistan-I Mazahib or The School of Manners

(٥٦) عن هذا الموضوع مقدّمة الجـزء الأول مـن ترجمـة ديفيـد شيّا وأنتوني ترويـر لكتـاب الدبسـتان باللغة الإنجليزية.

(٥٧) م.ن.

(٥٨) ينظر دائرة معارف Wikipedia

(٥٩) كتاب فاني عن التصوف بعنوان The Religion of Sufis from the Dabistan-e of Mohsin Fani (London Octogon Press1979) 87pages

(٦٠) ينظر دائرة معارف ويكيبيديا.

(61) J.Eliash. Op.Cit. P.15-16

(٦٢) يراجع دائرة المعارف الإيرانيةEncy. Iranica ,by Fath Allah Mojtaba

(٦٣) يراجع ترجمة شيّا وترويـر عن محتويات الكتاب ولاسيما في الجزء الأول.

(64) Garcin de Tassy, " Chapitreinconnu de Coran"Vol.XIII,P.433

(٦٥) عن حياة دي تاسي ومؤلفاته ينظر Sayida Surriya Hussain:-Garcin de Tassy.Biographie et etude critique de ses oevres(Publication de,l institute francais d, Indolgie.no.22 Pondicherg 1962.Volume, XX.Pp.

(٦٦) ينظر Ency.Wikipedia(Garcin de Tassy)

(67) See above Sayida Surriya Hussain

(68) See Mirza Kazembeg,"Observations sur Chapitre inconnu du Coran" in Journal Asiatique ,Volume XIV (1843).Pp.430-431;Clair Tisdall,"Shiah additions to the Qoran" in The Moslem World.Volume III,1913.P.242

(69)Canon Edward Sell ,"The Recensions of the Quran" inChristain Literature Society ,Madras(1909) P.53.

(٧٠) عن حياة سيل ينظرEncy.Wikipidea(Canon Edward Sell)

(٧١) م.ن.

(72) Clair Tisdal," The Shiah additions …".Op.Cit..

(٧٣) عن حياة تسدال ومؤلفاته ينظر Ency. Wikipidea(Clair Tisdall)

(74) Ibid.P.227.

(75) Ibid.228.

(76) Ibid.

(77) Ibid.P.229

(٧٨) مصدر عن الحديث عن الكذب وقول تسدال حول صعوبة القول عن الخلفاء.

(٧٩) سورة الولاية مصدر ينظر الصورة الفوتوغرافية للسورة في بحوث المستشرقين دي تاسي De Tassy وبحث ميرزا كاظم بيك Mirza Kazembeg وكليرتسدالClair Tisdall المشار إليها سابقا أستنسخت من مخطوطة بانكيبور وغيرها من المخطوطات.

(٨٠) عن زويمر ينظر العقيقي،نجيب:المستشرقون(دار المعارف/ القاهرة١٩٦٤جزء ٣ص١٣٨. Addison,James Thayer:-The Christain Approach to the Moslem.(New York1900) P.169.

(81) See Dwight M.Dodaldson;The Shiite Religion:-A History of Islam in Persia and Irak (London,1933)

(82) Ibid.P.376.

(83) Ibid.Pp.47-49.

(84) The Moslem World :- A Quarterly Review:-of current events ,literature and thought among Mohammedan and the progress of Christian Missions in Moslem Lands

(85)Op.Cit.

(٨٦) ينظر بحث تسدال (Clair Tisdall ;Shiah additions….) P.230

(87) See Rainer Brunner,' La question de la falsification du Coran dans l,exegese Chiite"

(٨٨) البهائية Jonah Winters ;Dying for God.Martyrdom in the Shii and Baha,I Religions.(1997),134pages.

(٨٩) ينظر Jonah Winters; Bibliography for the Tablets of Baha,u,llah(Wilmette Institute).

(٩٠) ينظر Jonah Winters; Symbol and Secret Quran Commentary in Baha,u,illah,s Kitab-I Iqan) by Christopher Buck(Los Angeles,1995)

(٩١) عن روبرت ستوكمان ينظر Ency.Wikipedia (Robert H. Stockman) " Resource Guide Scholarly Study of the Baha,I Faith (Wilimette;USA. Bahai National Center Research Office).Idem.,The Baha,I Faith in America.Volume 2:-Early Expansion 1900-1912.Idem., 'Women in the Chicago Baha,I Community 1900-1912" in World Order ,Volume 25,no.2(1993-1994).

(٩٢) ينظر بحث البروفسور جناح Jonah Winters "The Shii Quran :- an Examination of Western Scholarship" inJournal of Baha,I Studies.Volume 9:3 Pp.69-73.Idem." The Origins of Shiism:- A Consensus of Western Scholarship.

(٩٣) ينظر العقيقي، نجيب:- المستشرقون(دار المعارف ،القاهرة ١٩٦٢)ج٣ ص١٧.

(٩٤) ينظر Jonah Winters; (The Shii Quran) Op.Cit.P.70.أيضا ص٧١.

(95) Ibid. P.73.

(٩٦) ينظر عن جولدتسيهر Ency. Wikipidea(Ignaz Goldzehir)

See Kohlberg,Etan.;Belief and Law in Imami Shiism.(Collected Studies) Variorum,G.B.Britain.Pp.31-44.

Joseph Eliash,"The Shiite Quran:- A Reconsideration of Goldziher,s Interpretation" in Arabica Revue d,etudes Arabes.Volume XVI(1969) 15-24.